الباب الأول:

المرأة والتربية

obeikandl.com

الفصل الأول
كيف تربي المرأة ذاتها؟!

المبحث الأول
أسس وأُطر تربوية عامة

سيظل معين التربية الإسلامية بأسسه ومنطلقاته منهلاً تربوياً غنياً لا ينضب مع مضي الزمان وتعدد وقائع الأحوال، فالمنهج التربوي الإسلامي منهج ينبثق من نصوص الكتاب والسنة، وعنايته موجهة بالدرجة الأولى إلى تزكية النفس وتهذيبها من نزغات الشر والإثم، وتنمية فطرة الخير فيها.

وفي هذا الموضوع سنتعرض لبيان أهمية تربية النفس، ودعوة الشرع إليها وشحذ همة المرأة المسلمة إلى تربية ذاتها بطرق وخطوات قائمة على المنهج التربوي الشرعي الصحيح؛ حتى تنضم إلى ركب المؤمنات المفلحات.

ويمكن التعبير عن عملية تربية النفس بأنها عملية النهوض بالنفس إلى المستوى الرفيع من التكوين العقدي والسلوكي الشرعي.

وقد ربط القرآن الكريم النجاح والفلاح بتزكية النفس بالإيمان والتقوى، وربط الخيبة بتدنيس النفس بالكفر والعصيان. قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[1].

وللتربية أثرٌ عظيم في تزكية النفس؛ ولذلك كان من مهمات الرسول ﷺ تزكية نفوس الناس، قال تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

والنفس البشرية قابلة للتوجيه والتعديل، والخير المركوز فيها قابل للتنمية، بالتدريب والتعليم وتكرار المحاولات، وتشهد لهذه نجاح المحاولات التربوية الجادة لتوجيه النفس وتعديلها.

وقبل الحديث عن خطوات تربية المرأة ذاتها، لا بد لنا من التنبيه على "أسس وأُطر تربوية عامة" ينبغي للمرأة أن تعتني بها وهي تباشر عملية التربية.. سواء مع نفسها أو مع

---

(١) الشمس: ٧ - ١٠.
(٢) البقرة: ١٥١.

الآخرين ، ومنها:

١ - أن تتوفر في عملية التربية النية الصالحة ، وأن يكون غاية المرأة ومقصودها في التغيير الإيجابي في نفسها مرضاة الله تعالى ، ونيل الثواب الأخروي ؛ فالأعمال تتحدد قيمتها وتتحقق آثارها المباركة بحسب ما وقر في القلب من نيات ومقاصد يعلمها الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية ، قال تعالى: ﴿ والَّذينَ جَاهَدُوا فينَا لَنَهْدينَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[١] . وكما في الحديث المشهور: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**" **ويقول ابن الجوزي: "اصدق في باطنك ترى ما تحب في ظاهرك**» .

٢ - مراعاة التدرج في البناء التربوي ؛ لأن عملية التربية ليست عملية تحويل مفاجئ دفعة واحدة ، والرغبة في الإنجاز السريع مخالفة لسنة الله تعالى في كونه ؛ إذ مع قدرته - جلت قدرته - على الإيجاد بقوله: كن فيكون ، لكنه تبارك وتعالى اختار لنفسه سنة الإنشاء المتدرج ، ومن صفات الله تعالى أنه رب العالمين ، والتربية هي إنشاء متدرج لإبلاغ الشيء إلى مستوى كماله .

٣ - إعطاء النفس فرصة للتعود وتصبيرها ومكابدتها ، قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[٢] . وقول النبي ﷺ : «**إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم**» . وتتلخص هذه الخطة التربوية في ممارسة السلوك الإيجابي المزاحم للطبع السلبي .

وبتكرار السلوك المزاحم وتنميته يضمر الطبع السلبي ؛ وذلك لأن في الإنسان استعداداً فطرياً لإيلاف ما يتكرر عليه مرة بعد مرة ، ومن ألف شيئاً أحبه وشعر بالحاجة النفسية إلى معاودته .

ومما يحكى عن "بشر الحافي" أنه سار ومعه رجل في طريق ، فعطش صاحبه فقال له: نشرب من هذه البئر؟ فقال بشر: اصبر إلى البئر الأخرى ، فلما وصلا إليها قال له: البئر الأخرى . . فما زال يعلله . . ثم التفت إليه فقال: هكذا تنقطع الدنيا .

وروى "الأوزاعي" عن التابعي الجليل "عبدالله الخزاعي" قوله: "عالجت لساني عشرين سنة قبل أن يستقيم لي" .

وروي عن "أبي المعتمر" أنه قال: "أمرٌ أنا أطلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ، ولست

---

(١) العنكبوت: من الآية ٦٩ .

(٢) الكهف: من الآية ٢٨ .

بتارك طلبه أبداً، قالوا: وما هو يا أبا المعتمر؟ قال: "الصمت مما لا يعنيني".

ويقول ابن المبارك: "إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كره، فينبغي لنا أن نُكرِهها".

وإذا كان هذا قول ابن المبارك فنحن بلا شك نعيش أشد المعاناة مع نفوسنا، ونلاقي منها معاندة عن قبول الحق، ونحتاج إلى مكابدة من نوع خاص.

٤ - تذكري أن تربية النفس ليس معناها إلغاء طبائع النفس الفطرية، وإنما تعمد إلى استغلالها وتحويلها وتوجيهها وتهذيبها، فالإسلام ما جاء ليحجر الفطر، وإنما جاء ليقومها ويصحح مسارها.

مثال ذلك: حب الزينة لدى المرأة، والحرص على الكسب، ونحو ذلك.

٥ - إيجاد الحافز الذاتي، الذي يشكل القوة الداخلية عند الإنسان الموجهة لإرادته والدافعة له؛ والحافز الذاتي لدى المؤمن هو الإيمان بالله تعالى، وباليوم الآخر، وبقضائه وقدره، وبالتأمل في الجزاء الذي وُعِدَ به، فعندما تستقر هذه القاعدة الإيمانية في أعماق قلب الإنسان فإنها ستهيمن على فكره وقلبه وعواطفه وإرادته، بحيث تعمل على ربط إرادته بما يرضي الله تعالى، وتتحكم في أنواع سلوكه الداخلي والخارجي وفق ما أمر الله تعالى به رغبةً ورهبةً، يقول الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[1] فنهي النفس عن الشر وتزكيتها لا يتم إلا بالخوف من العظيم الجليل الرقيب الحسيب، الخوف منه تعالى بمقتضى ما أخبر به عن نفسه من عظمته، وقدرته، وعزته، وجبروته، وبطشه، وغيرته، وانتقامه، واطلاعه عليه في كل لحظة وخاطرة، وهذا من أهم روافد البناء التربوي الذاتي الذي يورثه الإيمان بالله تعالى بألوهيته وأسمائه وصفاته، وهو الذي يشعل جذوة الخوف في القلب، وبخاصة في وقت الحياة والصحة.

ثم هناك الخوف من اللحظة الأخيرة وسوء الخاتمة، وهذا بمثابة الحافز المحرك نحو عملية التربية والإصلاح على الدوام، وكذلك الخوف من حدوث العقوبات الربانية العاجلة والآجلة.

ثم إن المؤمن بالله تعالى وبقدرته وحكمته يقابل مقادير الله بالرضا والتسليم، فيصبر، ولا يضجر، ولا يسخط، ولا يحسد؛ لأنه يعلم أنها من تدبير الحكيم العليم الرحيم.

وتكوين هذه القاعدة يكون عن طريق اكتساب العلم، والتعرف على ما أخبر الله به

---

(١) النازعات: ٤٠، ٤١.

من أصول الإيمان وأمور الغيب في كتابه وسنة نبيه ﷺ، وهذا الحافز في مستواه الأعلى يوصل الإنسان إلى مرتبة الإحسان في معظم أعماله، ويجعله من السابقين إلى الخيرات بإذن الله.

٦ - التركيز على عملية التحويل والتصعيد، وتكون بتحويل رغبات النفس إلى جانب من جوانب الخير، ومن ثم توجيهها إلى معالي الأمور، ولما فيه سعادة خالدة، أو مجد حقيقي، ولما فيه كمال ورفعة في الدنيا والآخرة، وهذه القاعدة متعلقة بسابقتها من حيث إنها مرتبطة بالإيمان بالغيب.

ومن أمثلة ذلك: من ترى في نفسها طمعاً مفرطاً في متاع الحياة الدنيا وزينتها، فتشتغل بملء قلبها بالإيمان بالله تعالى، والإيمان باليوم الآخر، ومعرفة أحواله وما فيه من جنة ونعيم مقيم وأجر عند الله عظيم، ثم التأمل في تفصيلات ذلك النعيم الواردة في صحيح الأخبار، ثم تعمل على توجيه طمعها وتحويله إلى ما عند الله تعالى، ثم تجري عمليات تصعيد ما لديها من حرص وطمع وحب لمتاع النفس إلى تحصيل ذلك المأمول الأخروي، وبذلك تنفك شيئاً فشيئاً عن التعلق بمطامع الحياة الدنيا؛ طلباً لما هو أجل وأعلى وأدوم، فعندها تجد نفسها قنوعة راضية غير مفرطة في الطمع الدنيوي، ومن هذا الأصل التربوي ما جاء في قوله تعالى ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [1].

* * * * *

المبحث الثاني
خطوات تربية المرأة ذاتها

١ - شدُّ الرحال إلى تنقية القلوب وإصلاحها؛ فالاعتناء بعملية تربية النفس وتزكيتها لابد أن يكون موجهاً توجيهاً أولياً، ومركزاً على تهذيب السلوك الداخلي، ومراقبة أخلاق الباطن، إذ سينتج عنه استقامة السلوك الخارجي لا محالة، فالاهتمام بأحوال القلوب وإصلاحها من أهم مقومات تربية النفس، كما قال النبي ﷺ: «**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**» (متفق عليه) إلى جانب أن توجيه العناية إلى تقويم السلوك الظاهر فقط يكون كالبناء على غير أساس، وكل بناء على غير أساس عرضة للانهيار، يضاف إلى ذلك أن السلوك الظاهر قد لا يكون معبراً

(١) طه: ١٣١.

تعبيراً صادقاً عن أحوال النفس الداخلية ؛ كما هو الحال عند المنافقين ، ولذلك كان نظر الله تعالى في مراقبته لأعمال عباده موجهاً لما في قلوبهم ونفوسهم .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**»[1] .

وعلى ذلك فلكي يظهر أثر العملية التربوية لابد من تطهير هذه المضغة من كل ما يخالف تعليمات الوحي ، إذ إن تلك التعليمات والكلمات لا تقبل الخلطة والذوبان بما يعارضها ، ولا تستقر إلا في مكان طاهر يليق بقدسيتها .

٢ - الحرص على العلم والتعلم ، وفهم أمور الدين الواجبة . وما من طريقة من طرق التربية ووسائلها إلا وهي متعلقة تعلقاً وثيقاً بالعلم ، واكتسابه ، والانتفاع به ، وكذلك فهم القرآن ، والتواصل معه قراءةً وتدبراً وعلماً وعملاً ، وأخص هذه العلوم وأنفعها في عملية التربية: العلم بالله تعالى الذي يحقق التوحيد الخالص والإيمان الصحيح .

فعلى مقدار التدبر والفهم لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ يكون التوفيق والنجاح في تقويم النفس وتزكيتها ، وقد أفرد البخاري باباً سماه: "باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟ " حيث جاء فيه أن نساء الأنصار قلن لرسول الله ﷺ : اجعل لنا يوماً من نفسك نتعلم فيه ، فقد غلبنا عنك الرجال ، فقال: «**موعدكن في دار فلانة**» فأتاهن فيها فوعظهن ، وذكَّرَهن ، وعلمهن ، وهذا مما يؤكد ضرورة طلب العلم الشرعي عند النساء .

٣ - محاسبة النفس واتهامها ، مع الاهتمام بآلية المحاسبة ، بحيث يحاسب الإنسان نفسه على كل خطأ يقوم به في الوقت نفسه ، وهذا يحتاج إلى يقظة دائمة وانتباه للأخطاء وحركات النفس ، واتهامها قبل اتهام الآخرين والبحث عن عيوبهم ، والحذر من الوقوع في وهم الكمال الذي يجعلنا لا نلتفت إلى نواقص أنفسنا ؛ فتتراكم العيوب ونحيد عن الطريق .

إن المحاسبة بمثابة صراع المؤمن مع نفسه الأمارة بالسوء التي تنسيه الآخرة والاستعداد لها .

يقول يحيى بن معاذ: "من سعادة المرء أن يكون خصمه فَهْماً ، وخصمي لا أفهم له" قيل له: ومن خصمك؟ قال: "نفسي تبيع الجنة بما فيها من النعيم المقيم بشهوة ساعة" .

فزكاة النفس وطهرتها موقوفة على محاسبتها ؛ فلا تزكو ولا تطهر ولا تصلح إلا بمحاسبتها .

---

(١) رواه مسلم .

قال الحسن البصري - رحمه الله -: "يا ابن آدم، إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بعلاج ذلك العيب من نفسك فتصلحه، فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيباً إلا وجدت عيباً آخر لم تصلحه، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان كذلك". وقال بكر المزني - رحمه الله - "إذا رأيتم الرجل موكلاً بعيوب الناس، ناسياً لعيبه، فاعلموا أنه قد مُكِرَ به".

ومن مواقف المحاسبة المنقولة عن السلف قول أحدهم: "ما عرضت قولي على عملي إلا خفت أن أكون مكذباً".

بمثل هذه المحاسبة يستمر العمل ويزداد، وتحفظ النفس من الانحراف عن الجادة[1].

* * * * *

المبحث الثالث

المنهج الإيماني الذي رسمه السلف في تربية الأولاد

لا يملك المرء منا عندما يقرأ في حال السلف مع أبنائهم، إلا أن يتملكه العجب، وترتسمه الدهشة، وتزداد الغبطة، وتحتويه الفرحة... في شمولية التربية التي ساهموا في إعدادها لأبنائهم، وهي بحق السبب الحقيقي الذي أنتج شخصيات عظيمة، وأجيال حكيمة... لازالت مضرباً للأمثال، ومحطاً للآمال.

فالبداية كانت في تعلم الإيمان عن جندب قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة - الغلام إذا قارب البلوغ - فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا[2]. فما هي أبواب الإيمان التي كانوا يعلمونها أبناءهم قبل القرآن: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وستون أو سبعون باباً، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله، والحياء شعبة من الإيمان»**[3].

١- تربيتهم على مراقبة الله:

فهذا الحديث العظيم والتوجيه التربوي من الرسول ﷺ لأحد الأطفال: **«يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشي**

---

(١) أسماء الرويشد.

(٢) شعب الإيمان ج١/ ص٧٦.

(٣) رواه البخاري.

كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»[١].

الإمام السلمي لما أراد الحج قال: استأذنت أمي في الحج، فقالت لي: توجهت إلى بيت الله فلا يكتبن عليك حافظاك شيئاً تستحي منه غدا[٢].

والمراد بحفظ الله: قال ابن رجب: هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه[٣]

فما أجدر بنا ونحن نعلن حالة الطوارئ في منازلنا عند الامتحانات المدرسية أن نعيد ونكرر على مسامع أبنائنا هذا الحديث الشريف، ففيه غرس مراقبة الله، وفيه تطمين لنفوسهم.. فنوفر عليهم مراقبة ذاتية من أنفسهم! حتى لا يقعوا في ما لا تحمد عقباه.

٢- مجانبة أهل الكفر والانحراف:

كما تربى الأجيال على محبة أهل الإيمان:

* فقد قال أنس بن مالك: كانوا يعلمون أولادهم محبة الشيخين كما يعلمونهم السورة من القرآن[٤].

* قال صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل: كان أبي يبعث خلفي إذا جاءه رجل زاهد أو متقشف لأنظر إليه يحب أن أكون مثله[٥].

أما في بغض أهل الزيغ والانحراف: حكى محمد بن عمار قال: قدمت بغداد سنة ٢١٥ هـ - وقد مات المريسي بها - والمريسي من رؤوس أهل المبتدعة آنذاك - وبقي في داره ثلاثة أيام لا يجسر أحد أن يدنو منه حتى ذهبوا إلى السلطان فقالوا: يجيف فيؤذينا؟!!! فبعث بالشرط ورأيت الصبيان يرمون المريسي بالحجارة ويقع على السرير[٦]!! الحارث المحاسبي مات أبوه وخلف مالا كثيرا ولم يأخذ منه حبة واحدة وقال: أهل ملتين لا يتوارثان.، وكان أبوه رافضياً.

قال أحدهم: رأيت الحارث بباب الطاق في وسط الطريق متعلقاً بأبيه والناس قد

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٢٤٩.
(٣) جامع العلوم والحكم ١/ ٤٩٢.
(٤) السنة للخلال.
(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢/ ٥٢٩.
(٦) السنة للخلال ٥/ ١١٤.

اجتمعوا عليه يقول: أمي طلقها!! فإنك على دين وهى على دين غيره[١]

ابن عياض رجل صالح حكم شرق الأندلس عندما حضرته الوفاة قالوا له: إلى من تسند أمرنا وكان له ولد، فأشاروا به عليه؟ فقال: لا يصلح!! لأني سمعت أنه يشرب الخمر، ويغفل عن الصلاة[٢].

٣ - تعظيم حرمات الله ونواهيه:

عن ابن عمر قال أن النبي ﷺ قال: «**لا تمنعوا إماء الله أن يصلين في المسجد**» فقال ابنه: والله لنمنعهن! فقال: فغضب غضباً شديداً وقال: أحدثك عن رسول الله وتقول إنا لنمنعهن[٣].

عن عبد الله بن مغفل أنه كان جالساً إلى جنب ابن أخ له فخذف فنهاه وقال: إن رسول الله نهى عنه!. وقال: «**إنها لا تصيد صيداً ولا تنكي عدواً وإنها تكسر السن وتفقأ العين**». قال: فعاد ابن أخيه يخذف، فقال: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنها ثم عدت تخذف لا أكلمك أبدا[٤].

الملك المسعود صاحب اليمن، لما مات ابنه سرّ والده بموته لأنه كان يعسف التجار، ويشرب الخمر بمكة[٥]؟

أما تعظيمهم لأوامر الله:. فعن سالم بن عبد الله بن عمر قال: ختنني ابن عمر أنا ونعيما فذبح علينا كبشاً فلقد رأيتنا وإنا لنجذل به على الصبيان أن ذبح عنا كبشاً[٦].

٤ - تحفيظهم كتاب الله:

أول ما يجب أن يعنى به الوالدان هو الحرص على أن يحفظ الأبناء كتاب الله منذ صغرهم فيشبوا وقد علقت قلوبهم حب الله، وتعظيم كتابه، وتدبر آياته... فيأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه، فإن كانت من مكارم الأخلاق اطّلع عليها واقتدي بها، وإن كانت عبرا وعظات، اعتبر بها وقرعت فؤاده، وكان السلف الصالح أول ما يسألون عنه

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٧٧.
(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي ٢٧٩.
(٣) رواه ابن ماجه.
(٤) رواه ابن ماجه.
(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٣١٢٢.
(٦) الأدب المفرد ٢/ ٦٤٥.

حفظ كتاب الله ، وهذه قصة عمر بن أبى سلمة أصح دليل على سرعة حفظ الطفل والحث على المسارعة في تحفيظ الأبناء ، قال عمر بن سلمة: كنا بماء ممر الناس ، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم مال الناس؟ فيقولون يزعم أن الله أرسله أوحى إليه بكذا فكنت أحفظ ذلك الكلام وكأنما يقر في صدري فلما أسلم قومه وأمرهم النبي بالصلاة قال: فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا منى! لما كنت أتلقى من الركبان فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين؟؟[١] . .

ومما يدل على أن هذا دأب الصحابة قول ابن عباس: جمعت المحكم في عهد رسول الله؟؟ . فقلت له: ما المحكم؟ . قال: المفصل! - أى من الحجرات إلى آخر القرآن - . وقال أيضاً: سلوني عن التفسير فإني حفظت القرآن وأنا صغير . .

وعن ابن عباس قال: من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتى الحكم صبيا [٢] .

ومما يستطرف في هذا الشأن حكاية الفرزدق حيث دخل مع أبيه على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال له: إن ابني يوشك أن يكون شاعراً . فقال له: أقرئه القرآن فهو خير له! . فقال: ما زالت كلمته في نفسي حتى قيّد نفسه بقيد وآلى ألا يفكه حتى يحفظ القرآن فما فكه حتى حفظه [٣] .

٥- تأديبه على ترديد الأدعية:

حرص النبي ﷺ على الأدعية سواء أذكار الصباح والمساء أو المتفرقة ، وجاء عنه الحرص الشديد في بعضها حتى قال في حقها الصحابة كان يعلمنا هذا الدعاء كما كان يعلمنا السورة من القرآن كما جاء عن ابن عباس: " أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر . . . "[٤] .

• دعاء الاستخارة: عن جابر قال: كان النبي يعلمنا الاستخارة في الأمور كالسورة من القرآن [٥] . .

• ترديد الأذكار وتعليمها لأبنائهم: كان عبد الله بن الزبير إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال " سبحان الذي سبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته . . . " . .

---

(١) رواه البخاري .
(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح١/ ٢٤٤ .
(٣) خزانة الأدب: ٢٢٢/ ١ . (٥) .
(٤) الأدب المفرد للبخاري .
(٥) الأدب المفرد للبخاري .

٦- الصبر على الطاعات:

إن أم الأسود بن يزيد قعدت من رجليها فجزعت ابنة لها . . فقالت: لا تجزعي ، اللهم إن كان خيرا فزد[١]!

وكان مسروق لا يعصى ابنته شيئًا قال: فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه أفطر واشرب! . قال: ما أردت بي يابنية؟ . قالت: الرفق! . قال: يابنية ، إنما طلبت الرفق لنفسي في كل يوم كان مقداره خمسين ألف سنة [٢] .

* * * * *

المبحث الثالث:
تخلى المرأة المسلمة عن واجباتها هو أصل المشكلة

إن العالم اليوم بأسره يشكو من المشكلات والمصاعب ، ويتأوه من الصعوبات والمآزق ، ويجِدُّ الباحثون عن حلول ومقترحات ، ويفتش المصلحون عن أدوية وعلاجات ، ليعيش الإنسان في راحة وأمان ، ولمّا يهتدوا لسبيل بعد ، وإنه لمن حسن العمل أن يدرك المصلحون أصل المشكلة ، ويعرفوا أُسَّ القضية ، ألا وهي الإنسان .

فعلاج أي مشكلة منبعه الإنسان ، ذلك أنه هو محور الكون ، والإنسان في الحقيقة ليس هو الجسد ، فكل الكائنات الحية تمتلك هذه الصفة ، بل الإنسان هو التربية التي يحملها ، والقيم التي يعتقدها ، والسلوك الذي يقوم به .

فأهم مشكلة تواجه الأمة اليوم ، هي الإنسان وبناؤه ؛ بناءً متصلاً بتراثه وثقافته ، متفاعلاً مع عصره ، وملتزماً بقضايا مجتمعه وأمته .

وإذا أُهمل الإنسان ونشأ بلا تربية انفصل عن جذوره ، فضاع وأضاع مَن حوله .

وإن التقدم والرقي لا يتحقق بالسياسة ولا بالمال فحسب ، بل يتحقق بالأساس ، وهو إعداد الجيل الذي يُسهم في إيجاد بنية ذاتية متطورة تعزز التقدم المنشود ، وتكرس الرقي المطلوب .

وإن ما يميز أفراد مجتمع ما عن أفراد مجتمع آخر ، هو ثقافة ذلك المجتمع ، ونوع التربية السائدة فيه ، إذ لا يميزهم غناهم أو فقرهم ، ولا يتميزون بألوان عيونهم ، أو أشكال أجسادهم ، وإنما يتميزون بالتربية التي يتلقونها ، والتي تجعل منهم أشخاصاً أصحاب هوية

---

(١) إسناده صحيح . الرضا عن الله ٩٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ٦٨٩ .

معينة ولون محدد، وفي الحديث الشريف عن رسول الله: «**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**».

فعلى سبيل المثال عندما يُذكر المجتمع الياباني هذه الأيام فإنه لا يقفز إلى الأذهان إلا العلم والتكنولوجيا والتقدم والاختراع والعمل الدؤوب، وعندما يُذكر مجتمع الصحابة في عهد رسول الله يقفز إلى الذهن عصر العلم والحضارة، والتنشئة السوية والتربية الصالحة.

العلاقة بين التربية والتعليم:

التعليم: إيصال المعلومات كما هي عليه إلى طالبها ومن يريدها، فالعلم: إدراك الشيء على حقيقته.

أما التربية فهي: فن وملكة وخبرة إيصال المعلومات بوجهها الصحيح إلى المتلقي.

وبالتالي فإن العلاقة بين التربية والتعليم علاقة تلازم، وعموم وخصوص، والعلم جسد، والتربية روح هذا الجسد، فالتعليم جزء من التربية، والتربية عامة شاملة، ولا يمكن الفصل بينهما بحال، بدليل أو كلمة في أمة العرب التي أصبحت خالدة خلود الرسالة، قال الله تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ** ﴾[1]، أي تعلم مع التربية، إذ لم يكن النص: اقرأ باسم خالقك، أو رازقك، بل ربط التعليم بالتربية.

والرب والتربية من اشتقاق لغوي واحد، كما قال الإمام البيضاوي في تفسيره: [والرب في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً].

وإذا كانت التربية أداة التغيير، والتعليم أداة البناء، فكلاهما يسعى للمستقبل الأفضل، والتعليم جزء ووسيلة من أجزاء ووسائل التربية، إذ إن مدلول التعليم موضوع معين، أما التربية فمدلولها شامل عام.

فالتعليم قد يهدف إلى تحصيل المعرفة، أو التدرب على مهارة، أو حفظ نص، أو الاطلاع على قانون رياضي أو طبيعي، **أما التربية فتهدف في ما تهدف إلى:**

تنمية الإحساس بالذوق والجمال في الكون.

وتربية الضمير والوجدان.

وتنمية الإرادة الحرة الواعية.

والنهوض بالقيم الإنسانية.

---

(١) العلق: ١ـ ٣.

وتعديل أنماط السلوك البشري .

والتعليم الجيد هو الذي يكون له هدف تربوي ، ولا تعارض بين التربية والتعليم ، وليس بينهما أي انفصال أو انفصام ، بل هما متآزران ومتكاملان .

ولما كانت التربية أشمل وأعم من التعليم فسيتم التركيز في الحديث عنها:

أهمية التربية:

التربية أساس كل تقدم وصلاح ، وعنوان كل تغيير ونهضة .

والتربية بالتعريف: هي الجهد الذي يقوم به المربون في مجتمع ما لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها .

وبالتالي: إذا كانت حياتهم مادية كانت تربيتهم مادية ، وإذا كانت حياتهم فلسفية روحية كانت تربيتهم من جنس نظريتهم .

وإن الدين - لَمَّا كان من عند خالق الكون والحياة - فقد اكتملت فيه عناصر المادية والروحية ، بلا إغراق أو تطرف لأحد الجوانب على الآخر .

وهذه هي التربية الشاملة المتوازنة ؛ التي تجمع بين الروح والمادة ، بين الدنيا والآخرة ، بين السلوكيات المادية والقيم الروحية .

فالتربية الشاملة ليست تلك التي تهتم بالجانب المحسوس أو الجانب العقلي أو الجانب الروحي فقط ، **بل التربية الشاملة هي:**

التربية المتوازنة ؛ الجامعة بين فضائل المادية ومحاسن الروحانية .

التربية الواقعية ؛ التي تلامس الحياة وتخاطب الإنسان وتتجاوب مع فطرته .

التربية العملية ؛ التي تقارن العمل مع القول ، والسلوك مع النظرية .

التربية المستمرة ؛ في مناحي الحياة ، وظروف الإنسان ، وليست مقتصرة على مكان أو زمان معين .

التربية القيمية ؛ التي تحوي مفاهيم الخير والعدل والمساواة ، لا مفاهيم التسلط والفساد .

خصائص التربية الناجحة:

لا يمكن أن تكون التربية ناجحة إلا إذا كانت شاملة ، ولا تكون شاملة إلا إذا تمتعت بخصائص ، منها:

ربانية المنهج ؛ إذ إن المناهج البشرية خاضعة للخطأ والزلل ، عرضة للانتقادات ، كونها صادرة عن إنسان متأثر ببيئة معينة ، فتبقى مناهجه ضمن إطار بيئته ، أما المنهج الرباني فهو عام لكل البشر ، على اختلاف ألوانهم وألسنتهم ، وتفاوت طباعهم ، وتعدد آرائهم .

إنسانية النزعة ؛ ليست مقتصرة على شعب من الشعوب ، أو أمة من الأمم ، أو تخدم مصالح جماعة معينة أو مجتمع بمفرده ، فكلما كانت التربية إنسانية كان نفعها أعم وأشمل .

عملية التطبيق ؛ غير مغرقة في خيالات كاذبة أو فلسفيات مادية عقلية ، بل هي تربية قابلة للعمل والتطبيق .

ذاتية المنطلق ؛ نابعة من الشعور بالنفس والآخرين ، لا تحتاج إلى رقابة مادية محسوسة ، فرقابة صاحب المنهج وهو الله الرب المربي كافية ومغنية عن كل الرقابات المادية مهما كانت دقتها عالية .

اجتماعية المحتوى ؛ ليس فيها من الأنانية القاتلة ، ولا الأثرة المهلكة ، بل هي تربية التعاون والتكامل ، وتربية التكاتف والتكافل .

غايات التربية المنشودة:

إيجاد جيل يحمل الصفات الآتية:

العلم النافع .

العمل الصالح .

الخُلُق القويم .

والطريق إلى ذلك تهذيب النفوس ، وتثقيف العقول ، وبناء الأمم .

فالتربية في مجملها: الإنسان في جوانبه الجسمية ، والعقلية ، والعلمية ، واللغوية ، والوجدانية ، والاجتماعية ، والدينية ، وتوجيهه نحو الصلاح ، والوصول به إلى الكمال .

الاهتمام بحامل التربية:

تقدم المجتمعات ونجاحها من نجاح التربية فيها .

من الأمور التي اجتمع عليها المربون إقرارهم بأهمية التربية بوصفها عاملاً رئيسياً في توجيه الأفراد نحو أهداف المجتمعات ، ويجمع المربون والمصلحون والحكماء على أن البيت والأسرة هما محضن التربية الأول ؛ فإذا كان المحضن واعياً لدوره مقدّراً لمسؤوليته استقام الجيل ونما .

وإذا كان المحضن مستهتراً بمسؤوليته جاهلاً دوره ضاع الجيل وفسدت الأسرة .

فالأسرة هي الدائرة الأولى من دوائر التنشئة الاجتماعية ، وهي التي تغرس لدى الطفل المعايير التي يحكم من خلالها على ما يتلقاه فيما بعد من سائر المؤسسات في المجتمع ، فهو حينما يغدو إلى المدرسة ينظر إلى أستاذه نظرةً من خلال ما تلقاه في البيت من تربية ، وهو يختار زملاءه في المدرسة من خلال ما نشّأته عليه أسرته ، ويقيِّم ما يسمع وما يرى من مواقف تقابله في الحياة ، من خلال ما غرسته لديه الأسرة ، وهنا يكمن دور الأسرة وأهميتها وخطرها في الميدان التربوي .

والإنسان يولد ولادتان: ولادة عضوية جسدية ، وولادة تربوية اجتماعية .

وإذا لم يكن في مقدور المجتمع التحكم بولادته الإنسان الطبيعية ، فإنه قادر على التحكم بولادته الاجتماعية ، وهي الأهم .

المرأة محضن التربية:

في الحديث عن المحضن الأول للتربية يجب الانتباه إلى وعاء هذا التربية ، وهي المرأة (الأم) التي يعيش معها الجيل أكثر وقته ، ويمضيه أول سني عمره ، ويكتسب من معين المرأة غراس الحياة .

وهنا يكون دور المرأة الأم في:

المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها .

تنمية المواهب والاستعدادات لدى الناشئ .

توجيه الفطرة والمواهب نحو الصلاح اللائق .

التدرج في العملية التربوية .

وللمرأة دور بارز في إنهاض المجتمع وتطويره ، ومعارف المرأة وتربيتها له أثر كبير في أخلاق الأجيال .

فالطفل الذي يرى أمه مقبلة على مطالعة الكتب واكتساب العلوم والمعارف ، والاشتغال بالتربية والتنشئة ، غير الطفل الذي يرى أمه مقبلة على مجرد التزين والتبرج وإضاعة الوقت بهذا الكلام والزيارات غير اللازمة .

الخروج من المشكلة!!!

أم فاضلة وزوجة صالحة .

ومما ينبغي التنبيه إليه أن قضية التربية يجب ألا تكون تابعاً بل يجب أن تحتل الصدارة في الاهتمام والرعاية ، وأن تأخذ التربية زمام المبادرة الفعلية ، بأن يكون دورها دور الموجه

والقائد ؛ سعياً وراء مصلحة المجتمع ، وتحقيقاً للمنفعة فيه .

رسالة المرأة في الحياة:

رسالة عبادة: قال الله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (١) .

رسالة علم: قال الله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ - أي القرآن - وَالْحِكْمَةِ - أي السنة النبوية - إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (٢) .

رسالة تربية: قال الله تعالى: ﴿ يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا ﴾ (٣) .

رسالة رعاية بيت الزوجية: قال رسول الله: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» .

رسالة توجيه المجتمع: قال الله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ؛ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤) .

أثر تربية المرأة في تحقيق التنمية الشاملة:

في الجملة: إن تربية المرأة تعني تربية المجتمع بأكمله حيث أن لها دورها في التعبئة الشاملة من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية خاصة فيما يتعلق بالمسائل التنفيذية مثل: حملات التوعية من أجل الادخار ، ورفع الوعي الغذائي ، ورعاية الأطفال ، والتزام الأمهات بقواعد الصحة العامة ، وتحسين مستوى الخدمة في جميع مراحل التعليم ، انتظام التلاميذ في الدراسة .

ورحم الله ابن باديس القائل: مَن علَّم ذكراً - رجلاً - فقد علَّم فرداً ، ومَن علَّم أنثى - امرأة - فقد علَّم شعباً .

---

(١) الأحزاب: ٣٣ .
(٢) الأحزاب: ٣٤ .
(٣) الأحزاب: ٣٢ .
(٤) التوبة: ٧١ .

وما أجمل قول معروف الرصافي:

ولم أر للخلائق من محل ::: يهذبها كحضن الأمهات
فحضن الأم مدرسة تسامت ::: بتربية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حُسناً ::: بأخلاق النساء الوالدات
وليس ربيب عالية المزايا ::: كمثل ربيب سافلة الصفات
وليس النبت ينبت في جِنان ::: كمثل النبت ينبت في الفلاة

وعود على بدء: إذا أردنا حلاً لمشكلات الأمة، ونصراً على مختلف الصُعُد: فالتربية هي الوسيلة الأمثل.

فالنصر العسكري يحتاج إلى نصر اقتصادي، ونصر اجتماعي، ونصر ثقافي، ونصر تربوي.

فنصر صلاح الدين سبقه نصر تربوي؛ من خلال الأئمة الأعلام: الإمام الغزالي، والإمام الجيلاني، ونور الدين زنكي، وغيرهم.

فتكوين قيادات المستقبل هي أهم أهداف التربية.

إن من يستقرئ النصوص الصحيحة المتعلقة بالمرأة المسلمة التي وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يجدها ملمّة ومستوعبة لكل صغيرة وكبيرة في حياتها، مبيّنة لسلوكها في علاقتها بربها، وفي تكوين نفسها، وفي علاقاتها بغيرها من الأقربين (والديها - زوجها - أولادها - أهل زوجها) والأبعدين، وفي تعاملها الاجتماعي عامة" وتلك السلوكات بمثابة معالم هادية إلى حياة راشدة متزنة سعيدة تضمن لصاحبتها السعادة والنجاح في الدنيا، والفوز العظيم في الآخرة".

ذكّرنا في الأعداد السابقة بواجب المرأة في تقويم علاقاتها بربها، وعلاقاتها مع زوجها، وسنستعرض في هذا المقال سوياً: واجب المرأة مع ثمرة زواجها: أولادها" لا يشك أحد في أن الأولاد قرة عين الإنسان، ومصدر سعادته، وبهجة حياته، بهم يطيب العيش، ويستجلب الرزق، ترى الأم في أولادها أمل الحياة وبهجة العيش وأمان المستقبل، ولكن هذا كله لا يتحقق إلا إذا حسنت تربيتهم وصح تكوينهم وإعدادهم للحياة، وبذلك يكونون كما قال الله تعالى فيهم: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (١).

---

(١) سورة الكهف: ٤٦.

أما إن أهملت تربيتهم وأسيء تكوين شخصياتهم كانوا وبالا على والديهم، وشرا مستطيرا على المجتمع، ولا يخفى أن مسؤولية الأم في تربية الأولاد أكبر من مسؤولية الأب، لقرب الأولاد من أمهم، ولكثرة الوقت الذي يقضونه معها في البيت، ولمعرفتها الدقيقة بكل أحوالهم خاصة في فترة المراهقة الخطيرة التي تحدث فيها تغيرات جسمانية وعقلية وعاطفية وسلوكية تؤثر على الطفل وعلى تكوين شخصيته، وقد قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1].

وقال ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته**»[2].

فالأم مسؤولة عن تربية أولادها تربية إسلامية لينشؤوا على عبادة الله وعلى مكارم الأخلاق، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وقال ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[3].

والمرأة المسلمة الواعية تدرك مسؤوليتها في تربية أولادها فيظهر ذلك جليا في أبنائها وليس أدل على ذلك من أن الممتازات من النساء ربين أولاداً أنبل وأفضل من أبناء الممتازين من الرجال، حتى إنك لا تكاد تجد عظيما من عظماء أمتنا إلا وهو مدين إلى أمه العظيمة فالزبير بن العوام مدين بعظمته لأمه صفية بنت عبد المطلب، وعبد الله والمنذر وعروة أبناء الزبير مدينون لأمهم أسماء بنت أبي بكر رضي الله عن الجميع، وكل واحد منهم له مقامه المحمود، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لقّن الحكمة ومكارم الأخلاق من صدر أمه فاطمة بنت أسد، وعبد الله بن جعفر سيد أنبل العرب حرم من أبيه صغيرا فتعاهدته أمه أسماء بنت عميس التي تعتبر من نساء الإسلام الخالدات، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب التي كانت أكرم أهل زمانها كمالا، وأمها المرأة العابدة التقية التي اتخذها عمر زوجة لابنه عاصم، إذ رأى فيها الصدق والأمانة مجسدين، يوم لم ترض أن تخلط اللبن بالماء كما طلبت منها أمها لأن الله يراها.

---

(١) سورة التحريم: ٦.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه البخاري.

أول أمر على الأم أن تمنحه لأولادها هو الحب والحنان، فالأم المسلمة التقية رحيمة بأولادها وأسوتها في ذلك رسول الله ﷺ، كما أخبرنا أنس رضي الله عنه إذ قال: "ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، قال: كان إبراهيم مسترضعا له في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت فيأخذه فيقبله ثم يرجع"[١].

ويروي أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كلما مرّ بصبيان هشّ لهم وسلم عليهم[٢]، وكان من أقواله التربوية الخالدة: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا**»[٣].

ويروي أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قبّل الحسن بن علي، فقال الأقرع ابن حابس: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فقال رسول الله ﷺ: «**من لا يرحم لا يُرحم**»[٤] وقد جاء يوما أعرابي للرسول ﷺ فقال: أتقبّلون صبيانكم؟ فما نقبّلهم، فقال النبي ﷺ: «**أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة**»[٥].

وقد مدح رسول الله ﷺ نساء قريش لصفة معينة فيهن وهي الحنان، حيث قال: «**نساء قريش خير نساء ركبن الإبل، أحناه على طفل، وأرعاه على زوج في ذات يده**» رواه البخاري. فالأم الذكية تستعمل في تربيتها لأبنائها اللين من غير ضعف، والشدة من غير عنف، فالأم حنونة على أولادها، إلا أن بعض المواقف تتطلب منها الشدة والحزم من غير عنف طبعا.

ومن أهم جوانب تكوين شخصية الطفل الجانب العلمي، فعلى الأم أن تراقب وتعلّم الطفل وأن تحثه على طلب العلم وعلى مراجعة الدروس وحفظها، وأن تساعده في تنظيم وقته بين التعلم واللهو المباح، وأن تهيئ له الجو المناسب من أجل التعلم، ومتى أخلصت الأم نيتها لله هان عليها التعب وسهل عليها الصعب بإذن الله، وأبناؤها فلذات كبدها محل كل تضحية صعبة منها[٦].

* * * * *

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل - باب رحمته ﷺ وتواضعه.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه أحمد.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه البخاري.
(٦) الدكتور/ علاء الدين زعتري - أستاذ الفقه المقارن والاقتصاد الإسلامي في جامعات سورية ولبنانية.

obeikandl.com

الفصل الثاني:
تربية البنات من المهد إلى الزواج
تمهيد

في الإطار العام ركزّت الشريعة الإسلامية على التربية من كل النواحي، واعتبرت أن أهم وسائلها هي السير على منهج القرآن الكريم والسنة النبوية، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[١] إضافة إلى وسيلة ثانية مهمة هي اتخاذ القدوة الحسنة، وذلك لأنها تؤدي إلى صلاح الفرد والجماعة، فمن خلالها يكتسب الإنسان الأخلاق والآداب والسلوكيات، مصداق ذلك قوله تعالى في معرض توجيه خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[٢].

وقوله سبحانه في معرض توجيه المؤمنين إلى اتخاذ رسول الله ﷺ أسوة وقدوة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[٣].

إضافة إلى وسيلة أخرى وهي الموعظة الحسنة والدعوة بالحكمة، مصداق ذلك ما ورد في حكاية لقمان وهو يعظ ولده، قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[٤] وقد وضع العلماء جملة من المبادئ والقواعد تتعلق كلها بالتربية، من ذلك مثلا التربية العقلية، وذلك في إعطاء الولد ذكراً أو أنثى ما يناسب سنه، مع تعويده على أخذ المعلومات الصحيحة والموثقة، وتحريضه على منهج النقد العلمي، ليعيش الولد وهو ينمو رويداً رويداً بعيداً عن التفكير الخرافي.

ومثلها أيضاً ما يتعلق بالتربية الخلقية ومن أهم مبادئها، غرس المحبة في نفوس الأطفال،

---

(١) الأنفال، ٢٠.
(٢) الأنعام: ٩٠.
(٣) الأحزاب، ٢١.
(٤) لقمان، ١٦ - ١٩.

وغرس الثقة فيهم، مع تعويدهم على قوة الإرادة، والاعتناء بمفهوم بناء الشخصية السوية.

وهكذا فيما يتعلق بمبادئ التربية الاجتماعية، بحيث يشعر الولد بالأمن والاستقرار في البيت والمدرسة والمسجد وما إلى هنالك، بعيداً عن القسوة والكبت، وبعيداً عن الدلال الزائد.

لكن السؤال الملح هنا هو: هل تُربى البنت في عمرها الأول كما تُربى في فترة المراهقة ونحو ذلك؟!

أبداً فعلماء التربية وعلماء الشريعة الإسلامية وضعوا لكل مرحلة ما يناسبها من الأمور التربية.

ففي المراحل الأولى على ولي أمر البنت أن يتذكر كيف كان رسول الله ﷺ يعامل البنات، وذلك من أجل أن يكون في تلك التعاليم النبوية منهجاً للتربية والتعليم، من ذلك أن النبي ﷺ قد اهتم بالنصيحة ووجه الآباء والأبناء إلى الاهتمام بالموعظة والنصيحة، مثال ذلك ما رواه البخاري في الصحيح أن رسول الله ﷺ لما وجه علي بن أبي طالب إلى فتح خيبر قال له ﷺ: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**» وتارة ما يكون ذلك عن طريق انتهاج أسلوب القصة، أو الحوار، أو الموعظة مع المداعبة أو بضرب الأمثال وما إلى هنالك.

والمهم في الحكاية أن تكون تربية الأولاد تحت مظلة الرحمة، مثال ذلك ما أخرجه البخاري أن أبا قتادة رضى الله عنه قال: خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه، فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها.

فلك أن تراعي طبيعة الولد أثناء استعمال العقوبة، مع التدرّج في المعالجة من الأخفّ إلى الشدّة، وذلك من خلال الإرشاد إلى الخطأ بالتوجيه أو الملاحظة أو الإشارة أو التوبيخ أو بالهجر ونحو ذلك.

وبالتالي فالبنت في المراحل الأولى لا تحتمل دروساً أكاديمية في التربية، إنما المهم في تلك المرحلة أن يتم التركيز على حبّ الله وحب رسوله ﷺ، بحيث تتلخص المسألة بما أخرجه البخاري من قول الرسول ﷺ: «**ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟**» ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم: ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ

اللَّه﴾[١] وكيف تكون البنت التي يربطها ووالدتها بحب الله ورسوله؟ وهل يستطيع شياطين الجن والإنس أن يؤثروا بأخلاقها وسلوكياتها أو أن يحرفوها عن جادة الصواب؟؟

إضافة إلى ذلك على الآباء والأمهات تربية البنت على العيش ضمن محيط الأسرة والبيت، حيث تسود المحبة والوئام وللتعاون بين جميع أفراد الأسرة، وقد أكدت الوقائع أن الطفل الذي يعيش في جو منزلي هادئ، ملىء بالحب والعطف فسيكون الحال شعوره بالاستقرار والطمأنينة، مما ينعكس على علاقاته العامة مع الناس جميعاً، والعكس صحيح، فالطفل الذي يستيقظ وينام على مشاجرات الأهل يفقد الأمن والأمان، ويتأثر بذلك كله، فيعيش الانطواء والعزلة والعقد من المجتمع!

ولا يتصور أولياء البنات أن القيام بتربية البنات أمراً سهلاً، إنما أكدت الشريعة والواقع صعوبته، وذلك قال الرسول صلوات الله عليه وسلامه من كان له أختان أو بنتان فأحسن إليهما، كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وأشار بأصبعه السبابة والوسط.

وقال ﷺ: «**من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة**».

فقيل: يا رسول الله واثنتين؟

فقال ﷺ: «**واثنتين**».

فقيل: يا رسول اللّه وواحدة؟

فقال ﷺ: «**وواحدة**».

كل هذا يوجب على الآباء والأمهات أن يربّوا بناتهم على جميع الأخلاق واحترام الآخرين، والمحافظة على حقوق الآخرين، سواء كانت مادية أو معنوية، كما قال اللّه تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاء عَسَى أَنَ يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[٢].

ومثله قول الرسول ﷺ وهو يوجه الأفراد إلى الإحساس بالانتماء إلى المجتمع: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**».

ثم تأتي مرحلة تربية البنت وتعليمها الواجبات والفرائض الإسلامية كالصلاة والحج

---

(١) الروم: ٣٠.

(٢) الحجرات: ١١.

ونحو ذلك .

مصداق ذلك قول النبي ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»(١) .

مع التركيز على التأمل والبحث والتفكر ، وذلك من أجل أن يتكون لديها إدراك عقلي سليم ، وهذا يؤدي إلى تهذيب النفوس وتربية الروح وما إلى هنالك .

يرافق ذلك كله ترويض الفتاة على الانضباط الإسلامي فيما يتعلق بالاختلاط ، وذلك انطلاقاً من قول الرسول ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» .

ويدخل في ذلك تربيتها وتعويديها على ستر العورة وعلى ارتداء الحجاب الشرعي ، وذلك من خلال ما قاله الله تعالى: ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾(٢) .

وبذلك كله ، وبغيره ، تكون الفتاة قد وصلت إلى مرحلة الزواج عسى الله أن يوفقها إلى الزواج بزوج متدين ملتزم بأحكام الشريعة العصماء .

تعليم البنت واجب أم لا؟!

لم تحصر الشريعة الإسلامية العلم بالذكور دون الإناث ، وهذا ما نلمحه في الأسلوب القرآني ، حيث ظاهر المسألة تخص الذكور ، لكن حقيقة هي دعوة للذكور والإناث من أجل تحصيل العلم ، وهي هنا من باب تغليب الذكر على الأنثى ، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾(٣) وقوله سبحانه: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾(٤)

ومثله قول النبي ﷺ: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى**

---

(١) أخرجه أبو داود .
(٢) النور ٣١ .
(٣) النور ، ٥٦ .
(٤) المؤمنون ، ١ - ٢ .

الجنة» .

الإسلام يتعامل مع الإنسان ككل متكامل تتفاعل فيه الأجهزة المتعددة ، سواء الدورية أو النفسية أو الغدية أو الهضمية أو التناسلية . . . إلخ . . وجعل لكل جانب من جوانب الإنسان حضوراً وقدراً وتوجيهاً وأحكاماً .

الإسلام لا يلغي الحديث عن جانب النمو الجنسي ، بل يبين متى يبلغ الإنسان وأمارات ذلك لدى كل من الرجل والمرأة ، ففي الرجل . . الاحتلام ، وإنبات شعر العانة ، وفي الأنثى كذلك مع حدوث الحيض . . وجعل الإسلام لذلك أحكاماً وآداباً تضبط مسار هذا الأمر وتحفظه .

* * * * *

المبحث الأول :
ضوابط الإسلام في هذا الجانب

أولاً – الأحكام: خاصة مسائل الطهارة وضرورة تعليمها للصغار في بداية حياتهم .

ثانياً – الآداب: ولا سيما في الأسرة ، خاصة في الأماكن التي هي فطنة تحريك غرائزهم . . أو وقوع أعينهم على أمور تشغلهم وهم بعد غير مهيئين لها ، ومثال ذلك أحكام الخلاء ، من التستر والذكر والاستنجاء والاستحمام ، كذلك أحكام الدخول والاستئذان ، خاصة بعد البلوغ .

الإسلام لا يلغي الشهوة ، بل يضبطها ويوجهها . . ولذا يلاحظ أن الإسلام أمر بالزواج باكراً حين البلوغ وحث عليه . . إلا أن طرقنا التربوية ، والتعليمية بل والبيئية هي التي تؤخر الزواج وتكوين الأسرة .

يلاحظ أيضاً أن الإسلام يشدد على مسألة حفظ حرمات الأشخاص وأعراضهم من رجال أو نساء ، وجعلها من الكليات الخمس ، ويبيّن خطورة ذلك على المجتمع وأثره ، ورتب على ذلك عقوبات شديدة حتى يحفظ الإنسان هذه الطاقة ويصرفها المصرف الحلال ، وهي واضحة ميسّرة ، ولذا على جميع المربين والأسر والمؤسسات الرسمية الاهتمام بتلبية هذه الرغبة باكراً وتسهيل أسبابها . . الحذر من تعريض النشء إلى مواطن إلهاب المشاعر وتأجيج الشهوة . . بالإعلام ووسائل التقنية المختلفة .

١ – معنى التربية الجنسية:

يعرف الدكتور عبدالعزيز القوصي التربية الجنسية هي التي تمد الفرد بالمعلومات العلمية

والخبرات الصالحة والاتجاهات اللازمة والسليمة إزاء المسائل الجنسية بقدر ما يسمح به نموه الجسمي والفسيولوجي والعقلي والانفعالي والاجتماعي في إطار الدين والأخلاق مما يؤهله لحسن التوافق في المواقف الجنسية ومواجهة مشكلاته الجنسية في الحاضر والمستقبل، مواجهة واقعية تؤدي إلى الصحة الجنسية.

٢ - أهداف التربية الجنسية:

التربية الجنسية تقوم على أسس دينية وأخلاقية يتم من خلالها تحقيق أهداف إنسانية واجتماعية.

يرى الدكتور فاروق صادق أن الجانب الجنسي في شخصية الفرد يلعب دورا هاما في الحياة البشرية حيث يتم من خلاله التكاثر واستمرار الحياة، وبذلك يجب أن يكون للفرد ثقافة في هذا الجانب التي تهدف إلى:

١ - تزويد الفرد بالمعلومات الصحيحة عن حقيقة الحياة الجنسية والنشاط الجنسي دون حرج وبطريقة علمية تتناسب مع عمره وإدراكه وتصحيح المدركات الخاطئة المرتبطة بالجنس إن وجدت.

٢ - تشجيع الفرد على تنمية ضوابط إرادية على رغباته الجنسية في ضوء المسئولية الاجتماعية مع توضيح خطورة إشباع الدافع الجنسي بلا ضوابط.

٣ - وقاية الفرد من الوقوع في أخطاء جنسية وتجارب غير مسئولة.

٤ - ضمان علاقات سليمة جنسيا بين الرجل وزوجته مع تقدير المسئولية المرتبطة بهذه الجوانب.

٥ - تكوين اتجاهات إيجابية نحو إحاطة النشاط الجنسي بالضوابط الدينية والخلقية والاجتماعية والنفسية، التي يرضاها المجتمع وبذلك فإن المراهق يصبح رقيبا من نفسه على نفسه دون صراعات نفسيه.

٣ - متى تبدأ التربية الجنسية:

قد يظن البعض أن التربية الجنسية لا وجود لها ويرى آخرون التربية الجنسية تبدأ مع البلوغ.

يقول رضا موسى يفضل أن تبدأ التربية الجنسية منذ العام الأول من العمر من خلال تنظيم أعضاء الطفل فيجب أن تكون بحذر ورعاية الطفل يلتزم بها الأم أو مربية ذات خلق ودين.

ومن هذا المنطلق نحذر من الاعتماد على من المربيات الأجنبيات لما قد يمارسه البعض

منهن من العبث أو استخدام الأعضاء الجنسية لإحداث النشوة لدى الطفل وتتأثر عملية التربية الجنسية خلال عملية التنشئة الاجتماعية وخاصة قبل البلوغ، ويخضع النمو الجنسي كغيره من نواحي النمو الأخرى لقواعد وأصول النمو. فإذا وجد الطفل البيئة الصالحة التي تعامله منذ ولادته معاملة صحيحة فإنه ينمو صحيحاً.

أما إذا شب الطفل في أسرة لا تسمح بالنمو الجنسي السليم فإن المشكلات الجنسية تبدأ في الظهور وتتراكم حتى تعبر عن نفسها في مرحلة المراهقة وتظهر الانحرافات الجنسية.

* * * * *

المبحث الثاني:
من يقوم بالتربية الجنسية؟

إن عملية التربية الجنسية عملية مستمرة مسئول عنها كل من الوالدين والمدرسة ورجال الدين وأخصائي الإرشاد والتوجيه.

كيف تتعامل مع الطفل قبل البلوغ مباشرة من الناحية الجنسية؟

يحدد الدكتور عبدالعزيز الأحمد كيفية التعامل مع الطفل قبل مرحلة البلوغ في أربع نقاط أساسية وهي:

أولاً: يكون التعامل طبيعياً وتبعد الحساسية المفرطة في الكلام حول بعض هذه الأمور.

ثانياً: يلاحظ في أحكام التوجيه في الإسلام الأمر بتعليم الصبيان ومَن هم قبل البلوغ الأحكام، خاصة العملية وتدريبهم عليها، سواء الصلاة والوضوء لها، ونواقض الوضوء وأحكام الطهارة.. وكذلك الصوم.. إلخ.. طبعاً الطهارة والوضوء يترتب عليه بيان نواقضه.. وسائل رفع الحدث والاستئذان.. وكل هذه أمور حقيقية لا توجد بهذا الوضوح إلا في الإسلام، إضافة إلى أن بيان موجبات الاغتسال وطريقة الاغتسال من الحدث الأكبر، الذي هو "الجنابة"، وكيف يكون الإنسان جُنباً أو حائضاً ويعلم في الذكور عند سن ١٣ سنة أو ١٤ سنة أما في الإناث فقبل ذلك، وهذا من وجهة نظري أمر طيب حتى ولو لم يبلغ الصبي.. كل هذه الأمور، سواء من الأمر الشرعي بتعليم الصبيان أو الطريقة التعليمية في مناهج الفقه والحديث.. تهيئهم وتمنحهم التعامل السليم مع هذا المتغير "الفسيولوجي" في حياتهم.

ثالثاً: من المناسب جداً عدم التهرب من أسئلة الصبي، خاصة إذا كان ذكياً أو صبياً لا تقنعه الإجابات العادية.. ومن الحصافة للمربي والوالدين عامة الإجابة بطريقة واضحة صادقة تناسب عمره العقلي والزمني مع استخدام بعض الأمثلة المشابهة في الحيوانات

والطيور ، خاصة إذا كان صغيراً دون العاشرة .

رابعاً: ليس من التربية السليمة زجر الصبي أو الصبية إذا سأل حول الأمور الجنسية ، أو نهره أو زجره إذا لمس أعضائه التناسلية ، لأن ذلك "أصلا" حياء عرضاً . . والبُعد عن تكرار كلمة "عيب" أو كلمة "هذا عيبك" ، فهذا يوحي إليهم بأن هذا شيء مقزز وعيب ومشين . . إلخ . . واستبداله بكلمات ألطف وأهدأ "فرج" ، "قُبُل" ، و"دُبُر" ، "ذكر" . . إلخ .

كيف ننمي في المراهق قدرته على الضبط والتحكم في الرغبة الجنسية؟

١ - يجب أن يدرب المراهق على احترام الرأي العام المتعلق بالمسائل الجنسية وتمثل الآداب الجنسية وتقديرها وفقا لما جاء في الحديث النبوي الشريف ، عندما جاء شاب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أتأذن لي بالزنا؟ فهاج القوم وماجوا ، فقال الرسول ﷺ : «**دعوه**..» أقبل يا ابن أخي فأجلسه بجواره ثم قال له: «**أترضاه لأمك؟**» فقال: لا يا رسول الله ، قال: «**فكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم**» (وكرر عليه عدداً من الأقرباء . .) ثم مسح على صدره ودعا له . .

٢ - على المراهق أن يتذكر دائما أن له محارم يجب أن يراعي الله فيهم .

٣ - لا بد للمراهق من معرفة النتائج الدينية والخلقية والقانونية والاجتماعية والطبية للممارسة .

٤ - أن يشعر المراهق بالمسئولية الشخصية والاجتماعية والطبية للممارسة الجنسية

٥ - حث المراهق على تقليد الأشخاص الأخيار الطيبين قولاً وسلوكاً .

٦ - تنمية وسائل الإشباع الروحي والديني لدى المراهق .

٧ - ممارسة الألعاب الرياضية لتنمية الجسم مثل السباحة وركوب الخيل والصيد ، وليصرف الاهتمام بالطاقة الجنسية .

٨ - تنمية العفة والطهارة لدى الفرد ﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِه** ﴾[1] .

٩ - اكتشاف رأي المراهق واستطلاع مواقفه في القضايا ، والمناسبات المختلفة وذلك باستشارته في الأحداث ، وعند المشكلات ، وبإلقاء الأسئلة والاستشارات وبطرح الأفكار .

* * * * *

(١) النور: ٣٣ .

المبحث الثالث:
دور الوالدين في التربية الجنسية

يقول الدكتور سليمان الجمعة يجب على الوالدين الإلمام بالثقافة الجنسية حتى لا يخطأ أحدهم في إعطاء إجابات غير كافية للأبناء عن دور الجنس في الحياة العامة ويتمثل ذلك في:

١ - علاج المشكلات الجنسية بحكمة والموعظة الحسنة واللين وليس العنف.

٢ - وكذلك ما ورد عن الفاروق عمر عندما سمع امرأة تتمنى لقاء زوجها فلم ينهى عن ذلك بل أرسل إلى زوجها وهو في الجهاد وذهب إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر وسألها كم تستطيع المرأة فراق زوجها، قالت شهر اثنين ثلاث وفي الرابع يفيض صبرها.. فأمر أمير المؤمنين عمر بأن لا يغيب الرجل عن زوجته إلا ثلاث أشهر حتى لو كان في الجهاد.

٣ - أعطي ابنك الثقة في التعبير عن ذاته وتحمل المسئولية.

٤ - لا تطلب من المراهق قمة المثالية فهو بشر يمكن أن يخطئ في بعض الأمور فحاول أن تعالجها بهدوء.

٥ - يجب على الوالدين أن يتقوا الله في كل شيء يصلح لهم ذويهم.

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ ﴾[1].

٦ - يجب الصدق مع الطفل في الإجابة عن تساؤلاته الجنسية بطريقة علمية حتى لا يأخذ هذه المعلومات من مصادر لا نثق فيها وتكون خاطئة.

٧ - يجب أن نشرح للطفل أن هناك أشياء "خاصة به" وحده لا يمكن لأي أحد أن يشاركه فيها (الأعضاء التناسلية) ومن هنا نستطيع أن نحمي أطفالنا من التحرش الجنسي، لأنه يدرك أن هذه الأشياء لا يحق لأحد أن يلمسها غيره (ومن هنا نحذر من مداعبة الطفل في تلك المناطق الحساسة).

وتطرح ليلي الأحدب أسلوبا للحوار من الطفل حول الأمور المتعلقة بالجانب الجنسي تصلح كمثال أو نموذج).

يبدأ الطفل في تلك الأسئلة في سن ٦ سنوات

الطفل: من أين أتيت؟

الأم: من مكان أسفل البطن خلقه الله عز وجل لخروج الأطفال.

---

(١) النساء: ٩.

الطفل: في أي وقت يخرج الطفل؟

الأم: لا ، عندما يلتقي الزوج مع زوجته في الفراش ، يظل الطفل في بطن أمه ٩ شهور ، وهناك يرعاه الله عز وجل .

الطفل: سن ٨ سنوات هل يخرج الطفل عن طريق شق بطن الأم؟

الأم: ليس في كل الحالات ، ولكن يمكن ذلك وفي الحالات العادية يخرج من مكان أسفل البطن جعله الله سبحانه وتعالى مخصصاً لذلك وهي فتحة قريبة من فتحة البول تتسع عند الولادة ثم تعود إلى طبيعتها بأمر من الله عز وجل .

الطفل: في سن ما قبل البلوغ: (ما معنى الحلم أو البلوغ)؟

الأم: هي أن يبلغ الطفل مبلغ الرجال ، فيرى الشاب حلما بأنه يقبل فتاة فيجب عليه الغسل قبل الصلاة ، وهذا ما يمكن أن يحدث لك بعد عام أو اثنين .

تحذير للوالدين:

- يجب أن نغرس في الأبناء التربية الجنسية الصحيحة وأنها ليست مجرد لذة حيث أنها متعة جسدية وخلقية كريمة تتم بين الأزواج وقد أحلها الله حتى تدوم الحياة ويحدث التكاثر بشكل إنساني وليس بشكل بهيمي .

- وقد يبدأ الطفل بممارسة العادة السرية منذ الصغر والطفل لا يفعلها بغاية الوصول إلى النشوة كما في المراهقة ، ولكن لأنها قد تحقق له شيئا من اللذة التي لا يعرف سببها .

كيف نتصرف مع الطفل في هذه الحالة؟:

لا يعني ذلك بداية انحراف للطفل أو انحطاط أخلاقي ، بل هذا مجرد إنذار بأن الطفل يحتاج أشياء منها: المزيد من العطف والرعاية النفسية والعاطفية بل والجسمية من قبل الوالدين .

ومن هنا نقول: أن الوالدين يقع عليهما العبء الأكبر في تربية الأولاد من الناحية الجنسية وفقاً للمعايير الدينية ونحذر من ترك الشغالات والخدم والسائقين دون متابعة ومراقبة .

* * * * *

المبحث الرابع:
نماذج من تساؤلات المراهقين والمراهقات وإجابتها العلمية

- ما هي الدورة الشهرية وكيف تحدث؟

البويضة تخرج من المبيض وتنزل إلى الرحم في انتظار أن يتم تلقيحها فإذا لم يحدث تلقيح فإنها تذبل وتموت ويطردها الرحم مع بعض الدم، وتسمى بالدورة الشهرية لأنها تحدث كل شهر قمري بشكل دوري.

١ - ما هو الشذوذ الجنسي؟

خلق الله عز وجل الرجل وخلق المرأة ليتزوجا وينجبا الأطفال وجعل لذلك مسارا محددا في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [1] ولكن هناك أناس تنحرف رغباتهم الجنسية عن مسارها الصحيح وهذا مايسمى بالشذوذ الجنسي.

٢ - كيف يعرف الولد وصوله إلى سن البلوغ؟

قبل سن البلوغ مباشرة تحدث طفرة في النمو الجسمي للمراهق وتظهر علامات لدى الفتى منها ظهور (الشارب) (وعلى العارضين والذقن واللحية) إضافة إلى خشونة الصوت كما تظهر لدى الفتاة منها طفرة في النمو ونعومة في الصوت وبروز الثديين والأرداف وتصل الفتيات إلى سن البلوغ قبل الذكور بعام أو أكثر ثم يحدث في مرحلة البلوغ القذف عند الرجل (الاحتلام)، ويحدث عند الفتاة نزول دم الحيض أو مايسمى بالدورة الشهرية.

- هل هناك أمراض جنسية تصيب الجهاز التناسلي؟

نعم هناك أمراض جنسية فتاكة بالإنسان والبشرية جميعا بسبب اللقاء الجنسي غير الشرعي (الزنا واللواط)، وهذا ما يطلق عليه الغرب بالأمراض السرية لأنها صاحبها يخشى الإعلان عنها مما يساعد على انتشارها ومن أخطر هذه الأمراض مرض الإيدز.

* * * * *

(١) البقرة: ٢٢٢.

المبحث الخامس:
التربية الجنسية في المنهج الإسلامي

كيفية علاج الإسلام للمقدمات التي توقع الفرد في الانحرافات الجنسية:

يقول الدكتور عبدالعزيز الأحمد: إن أعظم وأفضل وسائل التربية في كل مجالات الحياة تتجسد داخل الدين الإسلامي الحنيف، لننظر إلى علاج الإسلام للانحرافات الجنسية وما يسبقها من إغراءات.

١ - التفريق في المضاجع:

نجد أن توجيهات الدين الإسلامي تبدأ منذ المراحل الأولى من عمر الإنسان في قول الرسول ﷺ: «..... **وفرقوا بينهم في المضاجع**» رواه أبو داود في سننه.

- غض البصر:

ومع تقدم العمر بالنسبة للطفل يأمر المولى بتحريم التبرج في قوله تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى** ﴾ (١).

ويحرم المولى النظر إلى غير المحارم في قوله تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾(٢).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تتبع النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية**»(٣).

٢ - الاستئذان:

ويؤمر الأطفال بالاستئذان على الوالدين في أوقات قد يضعان أو يخففان من ثيابهما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ (٤).

---

(١) الأحزاب: ٣٣.
(٢) النور: ٣٠.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) النور: ٥٨.

- تحريم المصافحة بين الجنسين:

قال رسول الله ﷺ : «**إني لا أصافح النساء**»[١] .

وقد نهى الله جل وعلى الاقتراب من الزنا في قوله: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴾[٢] وحذر من اتباع خطوات الشيطان في أربعة مواضع في القرآن .

فالإسلام يحرم مقدمات إثارة الشهوة والتهيج الجنسي حتى لا يقع الفرد فريسة للأهواء والضعف أمام الشهوة وما ينتج عنها من معاصي تغضب الله رب العزة في علاه .

* * * * *

المبحث السادس:
مجالات إشباع الجانب الجنسي

يقول الدكتور إبراهيم النقيثان: إن الإسلام لم يغفل الجانب الجنسي لدى الإنسان فقد تحدث عنه القرآن بأسلوب مهذب جميل ، قال تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ ﴾[٣] ، وقال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[٤] ، وقال سبحانه: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[٥] ، وقال جل شأنه: ﴿ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء ﴾[٦] ، وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ منكُمْ ثَلاَثَ مَرَّات من قَبْلِ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاَةِ الْعِشَاء ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٧] ، وقال جل ذكره: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ﴾[٨] ، وقال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً

---

(١) رواه مالك .
(٢) الإسراء: ٣٢ .
(٣) البقرة ٢٢٣ .
(٤) البقرة ٢٢٢ .
(٥) البقرة ١٨٧ .
(٦) النساء ٤٣ ، والمائدة ٦ .
(٧) النور ٥٨ .
(٨) القيامة ٣٧ .

خَفِـيفاً﴾[١]، وقال جل جلاله ﴿ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾[٢]، وقال أيضا : ﴿ مَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[٣].

وفي السنة إشارات نحو الفعل الجنسي بطريقة مهذبة فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «**وفي بضع أحدكم صدقة**»[٤]، وقال أيضا: «**إذا أتى أحدكم أهله فليستتر**»[٥]، وقال: «**لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله...**»[٦]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**ولك في جماعك زوجتك أجر**»[٧]، والأحاديث في هذا كثيرة جدا، وإنما أردت الإشارة فقط.

من هذه الأدلة والتوجيهات، ننطلق في تأصيل التربية للمسلم والمسلمة في جانب هام من حياتهما، وهو التثقيف الجنسي المنضبط، إن إغفال هذا الجانب يترتب عليه كثير من المحاذير الشرعية والنفسية والاجتماعية.

* * * * *

المبحث السادس:
نصائح عامة في التربية الجنسية

يذكر الدكتور عبد العزيز الأحمد بعض النصائح التي ينبغي على المربين الأخذ بها ومنها:

١ - يجب عزل الأطفال في المراحل الأولى من العمر عن بعضهم وعدم نوم الطفل مع والديه بعد عامه الأول.

٢ - العناية بنظافة أعضاء الطفل دون المبالغة في التنظيف ويجب أن يقوم بذلك الأم أو مربية ذات دين.

٣ - إعطاء الطفل الحنان اللازم وعدم ظهور المشاكل الأسرية أمام الطفل.

٤ - الإجابة عن تساؤلات الطفل بطريقة علمية ومناسبة لعمر السائل.

٥ - إعطاء الطفل مزيدًا من الحرية للتعبير عن نفسه حتى نستطيع أن نكتشف مشاكله

---

(١) الأعراف ١٨٩.
(٢) البقرة ١٨٧.
(٣) البقرة ١٩٧.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه ابن ماجه.
(٦) رواه البخاري ومسلم.
(٧) رواه أحمد والنسائي وغيرهما.

openkandil.com

وعالمه الخاص .

٦ - عدم استخدام أساليب العنف أو العقاب عندما يلعب الطفل في أعضائه التناسلية .

٧ - ينبغي أن يتفهم الأهل القضايا الجنسية قبل شرحها لأبنائهم .

٨ - الأب يقوم بتوجيه الأولاد والأم بتوجيه البنات جنسيا .

٩ - ينبغي تجنب الإثارة أثناء التعليم واختيار الألفاظ المهذبة خاصة تلك التي وردت في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ ، مثل وصف الإسلام للجماع بالمباشرة واللمس والقرب .

١٠ - ينبغي أن يربى كل جنس على الاعتزاز بجنسه وعدم التشبه بالجنس الآخر .

١١ - الاهتمام بطاقات الشباب الجسمية وتفريغ الشحنة الجسدية في أشياء مفيدة .

١٢ - تسهيل أمر الزواج المبكر أمام الجنسين .

١٣ - تدريب الطفل قبل البلوغ على صوم الأيام المسنونة مثل (عرفة ، عاشوراء . . .) .

١٤ - تعليم الطفل المبادئ الإسلامية الراقية مثل (العفة ، الطهارة ، الحفاظ على العرض ، الحياء ، الغيرة على المحارم . . . .) .

١٥ - تعويد الطفل على الاستئذان قبل الدخول على والديه في أوقات النوم والراحة .

١٦ - تجنيب الأولاد والبنات المثيرات للشهوة من الأفلام والقنوات الإباحية أو مواقع على الشبكة العنكبوتية أو مجلات وجرائد وكتب .

١٧ - طرق هذه المواضيع الحساسة من قبل العلماء وشرحها بشكل علمي سليم حتى لا يأخذها الأطفال والمراهقين من مصادر أخرى غير شريفة أو غير دقيقة .

كما يوصي الدكتور إبراهيم النقيثان بالآتي:

١ - فمن المحاذير الشرعية أن يجهل الشاب أو الشابة أمورا تتعلق بالطهارة من الجنابة والحيض فيما يتعلق بالعبادات واللبث في المسجد ونحو ذلك ، فكم من شاب يجهل حكم الاحتلام وما يترتب على ذلك من أمور ، سواء بوجوب الغسل عند قراءة القرآن ونحوه ، ومثله ذلك للفتاة في وجود الفشل بعد انقطاع الحيض مع ترك الصلاة والصوم وقضاء الصوم بعد الطهر ، وكذلك الاغتسال من الجنابة والامتناع من قراءة القرآن ومس المصحف ونحو ذلك .

٢ - والمحاذير الصحية في معرفة أمراض الجهاز التناسلي والعناية به، والبعد عن العبث في الأعضاء الجنسية، وخطورة انتقال الأمراض، وخطورة فض غشاء البكارة بالنسبة للفتيات.

٣ - والمحاذير النفسية المتمثلة بما يتلقاه الفتى أو الفتاة من معلومات مغلوطة من مصادر غير موثوقة، كالأصدقاء ونحو ذلك، إضافة إلى الانحرافات الجنسية العديدة والتي يكون منشؤها نفسيا في الغالب.

٤ - والمحاذير الاجتماعية مما يتعلق بمخاطر الاختلاط، والعلاقات بين المراهقين والمراهقات أو حتى الكبار ممن عرف عنهم الأخلاق السيئة، فكم من جريمة خلقية ورائها صديق فاسد، أو صديقة فاسدة، مع انعدام التوصية والتربية من قبل الوالدين.

إذا كيف نتعامل مع المراهقين في هذا الجانب؟:

لا شك أن من يقوم بالتوجيه والتعليم يختلف باختلاف الجنس.

فبالنسبة للذكور: يبدأ الأب أو من يقوم مقامه، ببناء علاقة مودة وثقة بينه وبين المراهق فيذكر له أنه على وشك دخول مرحلة الرجولة، إذ سيصبح رجلا كالرجال، فقد بدت علامات ذلك، من خلال التغيرات التي تطرأ عليه، مثل ظهور شعر الشارب، وظهور شعر الإبط والعانة، وكذلك تغير الصوت من صوت طفولي إلى صوت أقرب لصوت الرجال، كذلك هذا التغير في النمو الجسمي السريع، فها أنت أصبحت تشعر بأن ملابسك بدت تصبح ضيقة عليك وقصيرة، وأن حذاءك أصبح غير مناسب لك..، أنت بدأت تخطو سريعا نحو اكتمال الجسم... لتصبح رجلا كأبيك.

ويبدأ يشرح له أسباب هذه التغيرات من جانب فسيولوجي، ولو يستعين بقراءة مراجع متخصصة حول هذا الجانب... ثم بعد ذلك يشرح التغيرات الجسمية والوجدانية المتعلقة باكتمال النمو، ويذكر له مسألة الاحتلام كيف يحدث... وأسبابها وما يترتب على ذلك من أحكام شرعية،، مع الإشارة إلى ما يصاحب هذا الحدث من تغيرات في المشاعر والعواطف نحو الآخرين، خاصة الجنس الآخر، مع ربط هذا الميل وتلك المشاعر بكونها جبلة جبل الله الناس عليها، لكي يتم الزواج وتعمر الأرض ويكثر النسل، إلا أن هذا الميل قد ضبطه الشرع بضوابط، لا يجوز تجاوزها، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء ﴾[1]، وفق المقابل حذر الله من الانسياق وراء الشهوات دون ضابط

(١) آل عمران: ١٤.

من الشرع فقال سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ خَلَفَ من بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾[٥].

ونحو ذلك من الأمور المنهي عنها مع مداومته لصيانة نفسه من الوقوع في الزنا واللواط والفحش والفسق وممارسة العادة السرية ونحو ذلك مع تبسيط لهذه المعاني، لكي يعي ذلك ويدرك مخاطره، ولا بأس بشرح مبسط مصور لتشريح الجهاز التناسلي للذكر مع بيان وظائف كل جزء وكيفية حدوث الاحتلام.

كما ينبغي للأب أن يحذر من أساليب وأماكن الشر والفساد، الموجودة في بيئة الشاب، ويبث فيه خلق التقوى والصبر ومراقبة الله جل وعلا، فهو المطلع على الإنسان، فهو السميع البصير سبحانه وتعالى، كما يبث فيه خلق الحياء وغض البصر، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[٦].

مع بيان لبعض الأمراض الجنسية، التي تصيب من تعدى حدود الله وأوامره، ويفضل أن يكون ذلك كله بلغة واثقة جريئة وبلهجة أو لغة يفهمها الشاب بعيدا عن الأسلوب الرسمي الذي يشعر المراهق بدرس تعليمي إضافي لما يأخذه في المدرسة.

أما بالنسبة للفتاة: فتقوم بهذه المهمة الأم أو من يقوم مقامها، حيث يسبق هذا الدرس الهام بث الطمأنينة وبناء علاقة حب وثقة ومودة بين المراهقة والأم، فتشير إلى أنها على أبواب دخول مرحلة الأم الكاملة الناضجة، والتي لها موقعها المهم في الأسرة والمجتمع، وأنك قاربت بطلاق مرحلة الطفولة والدخول إلى مرحلة الشباب والنضج واكتمال الأنوثة،

---

(١) النساء ٢٧.
(٢) مريم ٥٩.
(٣) النور ٣٠.
(٤) الأحزاب ٣٥.
(٥) المؤمنون ٤ - ٧، المعارج ٢٩ - ٣١.
(٦) النور ٣٠.

والتهيؤ لأن تصبحي زوجة وأما .

ثم تشير إلى التغيرات الحاصلة لديها ، كنمو سريع حيث أصبحت الملابس تضيق عليها وأصبح الحذاء لا يناسب قدمها . . . مع الإشارة إلى المظاهر الجسمية من مثل تغير الصوت من صوت طفولي إلى صوت أنثوي ناعم وعميق . . . ، والإشارة إلى ظهور الشعر في الإبطين والعانة ، وتحول الوبر في الساقين والساعدين إلى خشن ، كذلك بروز الصدر ونمو الثديين ، وتراكم الدهون في الأرداف . .

ثم تدخل إلى أن ذلك مؤذن بحدوث الحيض ، فتشرح لها طبيعته ومدته ودورته وسببه ، وما يترتب عليه من أحكام شرعية ، منها وجوب الحجاب فقد أصبحت امرأة ناضجة ، ومنها ترك الصلاة والصيام أثناء الحيض وقضاء الصيام دون الصلاة ، وغير ذلك من الأحكام ، ولا بأس بالاسترشاد بكتاب فقهي حول هذا الموضوع ، كذلك أهمية الاغتسال من الجنابة نتيجة الاحتلام لو حديث وما يتعلق به من أحكام .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى أهمية المحافظة على النظافة والصحة لهذه الأعضاء وطبيعة ووظيفة أجزاء الجهاز التناسلي للفتاة ، مع رسم تشريحي للجهاز الأنثوي ، من مبايض ورحم ومهبل وغشاء بكارة .

ثم تبين لها أهمية الصحة والاجتماعية والزوجية لهذه الأجهزة وأهمية المحافظة على غشاء البكارة وكيف ينظر المجتمع لهذا الأمر ، وخطورة العبث في هذا العضو ، ثم تعرض جانبا من الأمراض التي تصيب هذا الجهاز في حال مخالفة شرع الله أو التساهل في أمور النظافة والعناية بتلك الأعضاء ، وخطورة العبث فيها .

ثم تشرح له وظيفة الزواج في حياة الفتاة وفي دورة المجتمع ، وكيف يتم الحمل وكيف أن الإنجاب هو من المهام السامية للفتاة ، وكيف تصبح أما ، وطبيعة العاطفة في المرأة على عكس الرجل ، ووظيفة مثل هذه الجوانب في العطف على الأولاد وتربيتهم والصبر عليهم ، فدافع الأمومة عنصر هام في سبيل حماية الأبناء ورعايتهم .

كما تشرح لها أهمية التحكم بالعاطفة تجاه الجنس الآخر ، وطبيعة إشباع الدافع الجنسي من خلال ما شرعه الله ، وما وضع له من ضوابط ، وعدم الانسياق وراء العاطفة ، والتعقل والصبر في هذا الجانب .

كما تربي فيها خلق الصبر والمثابرة لحين قدوم فارس الأحلام ، ولذا تبين لها مما هو محمود من خلق المرأة من الخفر والدلال والحياء ونحو ذلك .

كما تربي فيها خلق غض البصر وفوائده ، كما قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ

مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[١] .

كما تبصرها بأساليب وحيل الأشرار من النساء والشباب والرجال في الإيقاع بالفتيات وسلب أعز ما لديهن بعد دينهن .

تلك أهم النقاط التي لو سار عليها الأبوين لجنبا أولادهم من ذكور وإناث بإذن الله مشكلات شتى لا حصر لها .

وقد لا يكون الأب مؤهلاً أو ليس لديه الاستطاعة في القيام بتلك الخطوات فليعهد بذلك لمن يقوم به كالأخ (العم) أو مربي الشاب أو المعلم أو إمام المسجد إن كانوا مناسبين للقيام بهذا .

كذلك الأم قد لا تكون مؤهلة لذلك ، أو لا تستطيع القيام ببعض الخطوات فالتعهد بذلك لغيرها ، إما أختا لها أو عمة للفتاة ، أو صديقة حكيمة أو غير ذلك .

نسأل الله أن يحفظ شبابنا وفتياتنا من كل سوء ومن مكر شياطين الإنس والجن ممن عناهم الله ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴾[٢] .

* * * * *

المبحث السابع:
ختان الإناث

الأصل في الخطاب بالأحكام التكليفية أنّه يشمل الذكر والأنثى ، ولا يجوز تخصيصه أو تقييده أو الاستثناء منه إلا بدليل .

و من الأحكام الشرعية التي جاءت مطلقةً غير مقيَّدة مسألة الختان ، وهي مسألة دقيقة ليس في نصوص الشريعة أمرٌ بها بصيغة قاطعة الدلالة على الوجوب ، ولكنَّها مذكورة في خصال الفطرة التي أرشدت الشريعة إلى اعتبارها .

فقد روى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الفطرة خمسٌ – أو قال: خمسٌ من الفطرة – الختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقصُّ الشارب**» .

و ما جاء من ذكرٍ للختان في خصال الفطرة استدلَّ به العلماء على ما ذهبوا إليه في

(١) النور ٣١ .
(٢) النساء ٢٧ .

حكم الختان للذكر والأنثى ، ولهم في ذلك ثلاثة أقوال مشهورة ، فيما يلي بيانها:

القول الأوَّل: وهـو إيجاب ختان الذكر والأنثى على حدٍّ سواء ، وإليه ذهب الشافعية والحنابلة ، وهـو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن قيم الجوزية ، والقاضي أبو بكر بن العربي من المالكية رحمهم الله جميعاً [١] .

قال الإمام النووي رحمه الله: (الختان واجب على الرجال والنساء عندنا ، وبه قال كثيرون من السلف ، كذا حكاه الخطَّابيُّ ، وممن أوجبه أحمد . . . والمذهب الصحيح المشهور الذي نص عليه الشافعي رحمه الله وقطع به الجمهور أنه واجب على الرجال والنساء)[٢] .

و قال البهوتي الحنبلي: (و يجب ختان ذكرٍ ، وأنثى)[٣] .

و قال الحافظ ابن حجر: (و أغرب القاضي أبو بكر بن العربي فقال عندي أن الخصال الخمس المذكورة في هذا الحديث كلها واجبة فإن المرء لو تركها لم تبق صورته على صورة الآدميين فكيف من جملة المسلمين كذا قال في شرح الموطأ) [٤] .

القول الثاني: وهـو أنَّ الختان سنَّةٌ في حقِّ الذكر والأنثى على حدٍّ سواء ، وهو مذهب الحسن البصري ، وإليه ذهب الحنفية ، ومالك ، وهو رواية عن أحمد .

قال ابن جزي: (أما ختان الرجل فسنة مؤكدة عند مالك وأبي حنيفة كسائر خصال الفطرة التي ذكر أنها واجبة اتفاقاً)[٥] .

و قال الإمام النووي رحمه الله بعد أن قرر وجوب الختان على الجنسين في مذهب الشافعية ، وعزا القول به للإمام أحمد رحمه الله ، وجمهور السلف: (. . . قال مالك وأبو حنيفة: سنة في حق الجميع ، وحكاه الرافعي وجهاً لنا - أي للشافعية - وحكى وجهاً ثالثاً: أنه يجب على الرجل وسنة على المرأة) .

وقال صاحب الدر المختار رحمه الله: (الأصل أن الختان سنة كما جاء في الخبر ، وهو من شعائر الإسلام وخصائصه ؛ فلو اجتمع أهل بلدة على تركه حاربهم الإمام ، فلا يترك إلا لعذر . . . وختان المرأة ليس سنة بل مكرمة للرجال وقيل سنة)[٦] .

---

(١) مجموع الفتاوى: ٢١ / ١١٤ .
(٢) المجموع: ١ / ٣٦٧ ، ٣٦٨ .
(٣) كشاف القناع: ١ / ٨٠ .
(٤) الفتح: ١٠ / ٣٤٠ .
(٥) القوانين الفقهية: ١ / ١٢٩ .
(٦) المجموع: ١ / ٣٦٧ .

و قـولـه مكرمة للرجال ؛ أي مما يفعل لأجل من يحل لـه الإفضاء إلى المرأة منهم ، إذن إن المرأة تكرم بعلها بالتزين والتهيؤ لـه بما يحب ، ومن ذلك الخفاض .

و قـال ابـن عابدين الحنفي رحمه الله: (وفي كتاب الطهارة من السراج الوهاج: اعلم أن الختان سنة عندنا - أي عند الحنفية - للرجال والنساء)[١] .

القـــول الثالث: وهو أنَّ الختان واجب متعيِّنٌ على الذكور ، مكرمةٌ مُستحبَّةٌ للنساء ، وهو قول ثالث للإمام أحمد ، وإليه ذهب بعض المالكيَّة كسحنون ، واختاره الموفق ابن قدامة في المغني .

قال ابن عبد البر المالكي رحمه الله: (أجمع العلماء على أن إبراهيم عليه السلام أول من اختتن وقـال أكثـرهم: الختان من مؤكدات سنن المرسلين ، ومن فطرة الإسلام التي لا يسع تركها في الرجال ، وقالت طائفة: ذلك فرض واجب . . . قال أبو عمر: ذهب إلى هذا بعض أصـحابنا المالكـيين إلا أنـه عـندهم في الـرجال . . . والـذي أجمـع المسلمون عليه الختان في الرجال على ما وصفنا)[٢] .

وقـال ابـن قدامة المقدسي رحمه الله: (فأما الختان فواجب على الرجال ومكرمة في حق النساء ، وليس بواجب عليهن ، هذا قول كثير من أهل العلم)[٣] .

وتتميماً للفائدة أرى من المناسب - لأهمية هذا الموضوع وتكرار طرقه في هذه الأيام أن أسرد على سبيل الإيجاز أدلة أصحاب كل قول مما تقدم ذكره فأقول مستعيناً بمولاي تعالى:

أدلَّة القائلين بوجوب ختان الجنسين:

أوَّلاً: قولـه ﷺ لرجل أسلم: «**ألق عنك شعر الكفر واختتن**»[٤] .

ثانـــياً: روى الحاكم بإسناد قال عنه: على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقرَّه الذهبي ، عـن ابـن عـباس رضـي الله عـنهما في قـولـه عزّ وجل: ﴿ **وَ إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَـأَتَمَّهُنَّ** ﴾[٥] ، قـال: (ابتلاه الله بالطهارة ؛ خمس في الرأس ، وخمس في الجَسَد . في الرأس: قـص الـشارب ، والمضمـضة ، والاستنـشاق ، والـسواك ، وفرق الرأس . وفي الجسد: تقليم

---

(١) ٦ / ٧٥١ .
(٢) التمهيد: ٢١ / ٦٠ .
(٣) المغني: ١ / ٦٣ .
(٤) رواه أبو داود وأحمد وإسناده ضعيف .
(٥) البقرة: ١٢٤ ، مستدرك الحاكم: ٢ / ٢٦٦ .

الأظافر ، وحلق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وغسل مكان الغائط ، والبول بالماء) .

ثالثاً: حديث اختتن إبراهيم بعد ما أتت عليه ثمانون سنة [١] . .

ووجه الدلالة في أثر ابن عباس رضي الله عنهما ، وحديث ختان إبراهيم الخليل عليه السلام مترتب على وجوب اتِّباع سنَّة خليل الرحمن ، لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢] ، ولا شك أن هذا الأمر يتعدى النبي ﷺ إلى أمَّته ، إذ لا قرينة على تخصيصه به .

رابعاً: قول النبي ﷺ : «**إذا جلس بين شعبها الأربع - أي أطرافها - ومسَّ الختان الختان فقد وجب الغُسْل**»[٣] ووجه دلالة هذا الحديث على المراد هو ذكر الختانين ؛ أي ختان الزوج وختان الزوجة ؛ فدل بذلك على أن المرأة تختن كما يختن الرجل .

قلت: ولا يمنع من الاستدلال بهذا الحديث كون التقاء الختانين ليس شرطاً لتمام الجماع ، بل قد لا يقع أصلاً ، لأن المقصود هو مجاوزة ختان الرجل ختان المرأة أو محاذاته في موضع الحرث - كما هو مبسوط في أبواب الطهارة من كتب الفقه - لأن الاستدلال قائم بمجرد ذكر ختان المرأة في مقابل ختان الرجل فلزم منه أن يكونا في الحكم سواء .

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: (قال العلماء: معناه غيبت ذكرك في فرجها ، وليس المراد حقيقة المس ، وذلك أن ختان المرأة أعلى الفرج ، ولا يمسه الذكر في الجماع ، والمراد بالمماسة: المحاذاة) .

خامساً: تشديد السلف الصالح رضوان الله عليهم في الختان ، وما كان لهم أن يفتروا على الشريعة ، أو يقولوا على الله بغير علم ، فلو لم يكن واجباً لما كان ثمة معنى لما روى الإمام أحمد من تشديد ابن عباس في أمر الختان أنه لا حج لمن لم يختتن ولا صلاة [٤] وعنه رضي الله عنه ، أنه قال: (لا تقبل صلاة رجل لم يختتن) ، قال البيهقي: وهذا يدل على أنه كان يوجبه ، وأن قوله: (الختان سنة) أراد به سنة النبي ﷺ الموجَبَة .

و قال الإمام مالك رحمه الله: (من لم يختتن لم تجز إمامته ، ولم تقبل شهادته)[٥] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) النحل: ١٢٣ .

(٣) رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وروى مالك في الموطأ نحوه بإسنادٍ صحيح عن عائشة رضي الله عنها .

(٤) انظر: المغني ، لابن قدامة: ١ / ٦٣] ، ونحوه ما رواه البيهقي [في السنن الكبرى: ٨ / ٣٢٥] .

(٥) ذكره الشوكاني ، في نيل الأوطار: ١ / ١٣٩ .

و قال عطاء: (لو أسلم الكبير لم يتم إسلامه حتى يختتن)[١] .

قالوا: فلو لم يكن الختان واجباً ، لما كان لهذا التشديد على من تركه وجه ، وإذا ثبت وجوبه فلا بد من دليل لصرف الوجوب إلى الذكر دون الأنثى ، وليس ثمة دليل على ذلك .

أما من قال بسنِّية الختان في حقِّ الجنسين ولم يوجبه على أحدهما فلم ير في النصوص التي استدل بها موجبوه أمراً صريحاً يوجب الختان على ذكرٍ أو أنثى ، وردوا على المخالف بمثل قولهم:

أولاً: لا يصح الاستدلال على وجوب الختان بكونه من خصال الفطرة ، لأن في خصالها ما لا يجب على عموم المسلمين ، وفيها ما يفرق فيه بين الذكر والأنثى كقص الشارب ، وهذا صارف عن القول بوجوب الختان .

ثانياً: لو كان الختان واجباً لما تساهل فيه من تساهل ، ولوجب إلزام حديث العهد بالإسلام به ، من غير تخيير ، مع أن الحديث الوارد في ذلك ضعيف مرسل ، وهذا ما لم يقع ، ولا يستقيم وقوعه .

قال الموفق ابن قدامة: (و الحسن يرخص فيه - أي في ترك الختان - يقول: إذا أسلم لا يبالي أن لا يختتن ، ويقول: أسلم الناس الأسودُ والأبيضُ ؛ لم يُفَتَّش أحدٌ منهم ، ولم يَخْتَتِنوا)[٢] .

و قال ابن المنذر: (لَيْسَ فِي الْخِتَانِ خَبَرٌ يُرْجَعُ إِلَيْهِ ، ولا سَنَدٌ يُتَّبَعُ)[٣] ونقل عنه نحو ذلك الحافظ في الفتح .

فهذا التساهل في أمر الختان لو كان واجباً لما كان متصوراً من أئمة أعلام أن يتساهلوا في أمره على هذا النحو .

قلتُ: ولما كان بعيداً عن ابن المنذر رحمه الله أن تفوته أخبار الختان مع أن منها ما رواه الشيخان وغيرهما ، واشتهر عند الفقهاء وسائر العلماء ، تعيَّن أن يُحمَل كلامه هذا على أخبار ختان الإناث ، والله أعلم .

و عليه فإن الأمر لا يعدو أن يكون سنة ، وخصلة من خصال الفطرة يندب المسلم إلى فعلها ذكراً كان أم أنثى ، من غير نكير على من تركه ، إلا أن يكون من باب النهي عن ترك

---

(١) فتح الباري ١٠ / ٣٤٠ .
(٢) المغني: ١ / ٦٣ .
(٣) كما نقل عنه الشوكاني ، في نيل الأوطار: ١ / ١٣٨ .

السنن، أو الاستهانة بها، أو إنكارها، أو ردهها، فالأمر حينئذ أمر بلزوم السنة، وليس بالاختتان خاصة.

أما من فرَّق في الحكم بين الذكور والإناث، فجعله واجباً على الذكور، مستحباً للنساء فقد قيَّد كل ما ساقه موجبو الختان على الجنسين بكونه في حق الذكر دون الأنثى، واستدل على التقييد بأمور منها:

أوَّلاً: أن ختان النساء كان معروفاً قبل الإسلام، وبلغ ذلك النبي ﷺ، فأقرَّه، وأرشد الخافضة إلى ما ينبغي أن تراعيه في عملها، وهذا يجعله - على أقل تقدير - من قبيل السنَّة التقريرية، وكفى به دليلاً على الاستحباب.

روى أبو داود في كتاب الأدب من سننه بإسناد فيه محمد بن حسان الكوفي، وهو ضعيف الحديث، عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها أن امرأة كانت تختن بالمدينة، فقال لها النبي ﷺ: «**لا تنهكي! فإنه أحظى للمرأة، وأحب إلى البعل**»[(١)].

وإذ صح هذا الحديث فإن في إقرار النبي ﷺ للخافضة على فعلها، وتوجيهها إلى ما يصلح لبنات جنسها من صفة الخفاض يدل على استحبابه

و قد أبعدَ الشقَّةَ من فرَّق في حكم الختان بين الذكر والأنثى إذ استدل بحديث: «**الختان سنة للرجال مكرمة للنساء**»[(٢)].

الترجيح:

بعد النظر في أقوال أهل العلم الثلاثة المتقدمة، وأدلة كل قول منها، يظهر - والله أعلم - أن نصوص الشريعة تحث على الختان باعتبارات منها كونه من سنن النبيين، ومن خصال الفطرة، غير أن هذا لا يرقى إلى حد الإيجاب، إذ أن الإيجاب حكم تكليفي لا بد له من نص صريح يحسم مادة الخلاف، بل الراجح هو الثابت، وليس فيما ثبت ما يدل على أكثر من كون الختان سنة، وهذا ما يترجح لنا، والله أعلم.

أما عن التفريق في الحكم بين الذكر والأنثى فيفتقر إلى دليل، إذ إنه من قبيل تقييد المطلق، وهو حق للشارع الحكيم وحسب[(٣)].

---

(١) وللحديث طريق أخرى أوردها الشيخ الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة[٩٢١] وحكم عليها بالصحة.

(٢) رواه أحمد والطبراني.

(٣) نيل الأوطار للشوكاني: ١ / ١٣٩ وما بعدها.

و عليه فلا أرى وجهاً لمن فرّق في حكم الختان بين الجنسين ، بل يظل الحكم سنة في حقهما .

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: (و الحق أنه لم يقم دليل صحيح يدل على الوجوب ، والمتيقن السنّة ، والواجب الوقوف على المتيقن إلى أن يقوم ما يوجب الانتقال عنه[1] .

* * * * *

المبحث الثامن :
المرأة والمجتمع

إنَّ كثيراً من الفتيات ، ما إن تنتهي إحداهن من الدراسة النظامية حتى تهجر الكتب ، بل والمطالعة عموماً ، وتنتكس إلى الأمية لارتباطها المعدوم بالكتاب ، وتصبح اهتماماتها المحدودة لا تتعدى لباسها وزينتها والتفنن في ألوان الطعام والشراب ، وهي هموم دنيوية قريبة التناول ، لا غير . . .

- المرأة المسلمة عضو في مجتمع الإسلام ، فهي مؤثرة ومتأثرة به ، لا شك في ذلك ؛ فهي ليست هامشية فيه أو مهملة ، ولا يصح بحال أن تكون سلبية أو اتكالية ، وإن كان الأمر كذلك فهو الجحود بعينه ، والنكران للجميل ، والابتعاد عن الإيثار والتضحية .

أمتنا الإسلامية تنتظر من يعيد لها أمجادها من أبنائها البررة وبناتها الوفيات .

- وللمسلمة حضور اجتماعي واضح في كل ما هو نافع ، وهكذا ينبغي أن يكون .

فعليها أن تضع نصب عينيها قول عمر رضي الله عنه -: لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنّا ، وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساؤوا فلا تظلموا .

- للمرأة رسالة تربوية هادفة للرقي بمجتمعها ، وتبدأ هذه الرسالة بإيفاء حق جيرانها ، فتعلّم الجاهلة ما تحتاجه لدينها ودنياها ، وفي ذلك خدمة تؤديها للأجيال الناهضة ؛ فتصبح اجتماعات الجارات ليست للقيل والقال ، بل للارتفاع بأسرنا المسلمة من الاهتمامات السطحية الساذجة إلى آفاق سامية ؛ فكل حديث يمكن أن تحوّله المسلمة الصالحة إلى حديث هادف ، حتى الحديث التافه لن تعدم المسلمة اللمّاحة أن تحوله للعبرة والتأمل ، والجارات الصالحات يتدارسن أفضل السبل لتربية أولادهن وحل مشاكلهن .

---

(١) د . أحمد بن عبد الكريم نجيب .

ومن الصور المشرقة في التعاون بين الجارات:

أنَّ أحد الأبناء كان يسرق المال من جيب أبيه وينفقه على ثلة من أصحابه الذين كانوا يشجعونه على ذلك العمل المشين .

عرفت الأم ذلك عن طريق جارتها الناصحة التي ساعدتها في اجتياز الأزمة ، بمدارسة المشكلة والنظر في جذورها ، ومن ثم احتواؤها وإيجاد الحل المناسب .

ومن مهام المرأة المسلمة أن توطد العلاقات الحميمة بين الأقارب: من صلة للأرحام ، وزيارة للمرضى ، ومشاركة في الأفراح . . . وغير ذلك من أعمال الخير مما يشيع روح التعاون والمحبة ، فتنشأ الأجيال على مُثُل الإسلام ، وقيمه السامية ، بالتعامل الطيب وبالمحاكاة الودودة . وعلى المرأة المسلمة أن تشجع كل بادرة خيرة تبدو من أجيالنا الناشئة ، فتهنأ بنجاحهم ، وتفرح لتفوقهم .

أمّا ما نسمعه عن خروج التافهات إلى الساحات العامة ليشجعن المباريات ؛ فذلك حرام قطعا لا يجوز فضلاً عن أنه لا يدل بحال على وعي المرأة لما يناسبها من مهام .

- وبالمقابل أن تتيح الفرصة لمناقشة الصغار وسماع آرائهم وتقدير أعمالهم الناجحة دون ضجر ، ولنذكر أن من يعتبره بعض الناس طفلاً كثير الثرثرة قد يكون ممن له شأن في المستقبل ، وكثرة أسئلته ما هي إلا دليل على قوة ملاحظته ، وتعبير عما يجيش في نفسه التواقة للمعرفة والاطلاع . ولا ننسى الأثر الطيب في توجيه الصغار وتشجيعهم .

سمعنا أن محاضِرة كانت تتحدث بطلاقة تبهر كل من تسمعها من بنات جنسها ، وكان من أكثر ما أثر فيها أن جاراتها ومعارف أبيها كانوا يستمعون لخطبها ويشجعونها وهي لا تتعدى السادسة من عمرها .

فعلينا ألا نبخل بكلمة طيبة نشجع بها صغارنا ؛ فالكلمة الطيبة صدقة ، والتوجيه الهادف لن يعدم له أثر ، والكلمة المخلصة تصل إلى القلوب بلا حواجز .

من المهام الأساسية للمرأة المسلمة أن تساهم في تحصين الأجيال بالثقافة الأصيلة والعقيدة الصحيحة ، ولا تترك قيادة الاجيال بيد العابثات اللاتي يركبن كل موجة من أجل الوصول إلى أهدافهن في تخريب النشء .

إننا إذ نطلب مساهمات المرأة والاستفادة من عمرها الذي ستسأل عنه وعن علمها الذي تعلمته ، لا نعني بذلك التزامها بعمل رسمي مهني تداوم فيه ولو أدى ذلك إلى إهمال حق زوجها ورعاية أبنائها ولا نعني المرأة العاملة التي تعود إلى بيتها مكدودة الجسم مثقلة

النفس بهموم العمل ؛ فأنّى لأمثال هذه المكدودة المتعبة أن تفيد الأجيال التي تنتظر اللمسة الحنون منها ، فلا يجدون لديها إلا الزجر والتأنيب ؛ لأن أمهم متعبة وتريد أن ترتاح من عناء العمل طوال يومها! . . . كلا وإنما ينبغي أن تؤدي الفرائض قبل الانشغال بالنوافل بل إن فرض العين مقدم على فرض الكفاية فخطابنا للمرأة الصالحة صاحبة العقيدة السليمة فهي الواعية التي لا تضيع حق ربها ولا تخلط حقا بباطل والمسلمة الواعية تتعامل مع الواقع بفطنة وحذر ، ولا يفوتها أن من مقاصد التشريع الإسلامي حفظ الكليات الخمس وهي: الدين ، والعقل ، والنسب ، والنفس ، والمال ، فإذا وجدت المسلمة ما يعمل على إضاعة هذه الكليات أو بعضها فيجب أن تسعى لتكون حائلاً دونه . إننا نريد من المرأة نشر الفضيلة ، وتسفيه رأي شياطين الإنس وبيان زيفهم وضلالهم لأولادها وفي بيتها

لابد من مواجهة العدو الماكر بتخطيط سليم وعمل مضاد ، وإذا لم نبذل الجهد لتدعيم الأخلاق الفاضلة وترسيخ العقيدة السليمة ، ندمنا حيث لا ينفع الندم ؛ فقد تُكَرّس الخرافة والمثل الهابطة ، وتعيش الأجيال وهي تستنشق ذلك العبق القاتم .

ومن المزايا التي اختصت بها نساؤنا في الماضي كثرة القصص يسلين بها الأطفال ، ويجذبنهم للأسرة ولمعتقداتها .

فلماذا تترك نساؤنا المثقفات أبناءهن هدفاً لقصص الفسقة والمجرمين والكفار يشوهون تاريخنا ويسيئون إلى مُثُلنا؟

فلنساهم في الإعلام المقروء والإعلام المسموع كل واحدة بقدر طاقتها ، حتى الأناشيد ينبغي أن تنظمها المسلمة ليترنم بها أبناؤنا ، ولتحل محل الأغاني الهابطة ، ولتغرد الأجيال بكلمات عذبة تظهر الصورة الوضيئة للإسلام ومثله السامي وتستميل قلوب الناشئة للخير .

وكذلك الحال في المجالات والقصص والروايات التي تعلم في كثير من حالاتها خداع الآخرين في سبيل المال وتكرس القيم والأفكار الخاطئة ، من العنف أو اللامبالاة ، أو العقوق وغير ذلك من سيئ الأخلاق ؛ فإن واجب المسلمة أن تستفيد من وسائل المعرفة السريعة هذه ، حتى تصبح منبراً يعلم الخير ويدعم العقيدة ، ويثقف العقل ، وفي الوقت ذاته يروّح عن النفس .

- إنّ أخطر أنواع الإعلام الحديث هو التليفزيون ؛ إذ زاحم الأسرة في توجيه أبنائها وبناتها وذلك بجاذبية مدروسة ، وغزو مستور ، وشياطين الإنس تؤزّره لهدم كل فضيلة . وقد قال الرئيس الفرنسي السابق ديغول - متحدثاً - عن أثر التلفاز: أعطني هذه الشاشة أغير لك الشعب الفرنسي .

ولو علمنا أن كثيراً من الأسر قد تخلت عن دورها نهائياً في مهمة التربية العقدية والفكرية، وأسلمت أبناءها للتليفزيون يصنع بهم ما يحلو له من التوجيه وغرس المفاهيم والعقائد المغايرة في كثير من الحالات لعقائدنا وحضارتنا؛ لقدّرنا أي واجب يحتم على المثقفة المسلمة أن تستفيد من إمكاناتها إن كانت تحسن كتابة القصة أو الأنشودة أو الحوار أو المقالة وتحمي أطفالنا وبيتها من عوامل الهدم الداخلي الخارجي.

أختي المسلمة:

لا تتعللي بالأسباب فتقولي: أنا متعبة الصحة، كثيرة الالتزامات، ضيقة الأوقات؛ فاغتنام الوقت والصحة والغنى من تعاليم شرعنا الحنيف؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**».

- فإذا نظمت المرأة حياتها واستفادت من جزئيات وقتها، وضنت به أن يستهلك في فضول الكلام... فإننا عند ذلك لن نسمع لها شكوى من ضيق الوقت؛ فتلتفت إلى واجبها داعية للخير وقدوة لغيرها، تثري الفكر في المجالات التربوية والصحية التي تعود بالفائدة على الأجيال المؤمنة والمجتمع الإسلامي بأسره، وتبذل جهدها لإيجاد بديل إسلامي لمواجهة هذا الزخم الهائل من الهجمة الفكرية، وتدافع عن حوزة الدين في مجتمع الذئاب الذين يدأبون على التخطيط والعمل لصرف الناس عن دينهم.

إنَّ على المرأة المسلمة أن تنبذ الراحة الموهومة، والنوم والكسل الذي ران على نفوس الكثيرات، وتجتهد لتقوم بواجبها نحو أمتها المسلمة، ونحو أجيالها الرشيدة بما تقدر عليه، وتستثمر وقتها بما يفيد؛ مع انتهاز الفرص المناسبة؛ علّنا نزيل الظلمة الحالكة التي ألمت بأمتنا... ونورث الخير للأجيال القادمة... وإلا بقيت آمالنا حبيسة لا تتعدى صدورنا، وبقيت أجيالنا في مؤخرة الركب بدلاً من قيادته.

أسأل الله تعالى العظيم أن يرنا الحق حقا ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطل ويرزقنا اجتنابه وأن يستعملنا جميعا لنصرة دين الحق على منهج الحق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وبارك على النبي محمد وآله وصحبه.

* * * * *

obeikandl.com

الفصل الثالث:
المنهج القرآنى فى تربية المرأة المسلمة
(تربية المرأة في سورة التحريم)

تمهيـــد:

تتم في الحياة الدنيا قبل الموت عملية التعليم والتعلم للوصول بالإنسان إلى أفضل حياة ممكنة لـه في الدنيا والآخرة، فمنذ أن خلق الله تعالى آدم - عليه السلام - علمه الأسماء كلها، وما تبع ذلك من عمليات تقويمه، حتى بعد هبوطه - عليه السلام - إلى الأرض، فقد تابعه بالوحي كما تابع الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله تعالى من بين خلقه، ليبلغوا رسالات ربهم، التي يحقق مضمونها على مر العصور الأهداف العامة للتربية الإسلامية، والناظر في كتاب الله، وسنة رسوله يقف على عدد من تلك الأهداف التي تسعى لتحقيقها.

و بما أن الإسلام رسالة عالمية لا تختص بأمة، أو مجتمع أو عصر فضلا عن أن تختص بجنس دون آخر، وهو للمرأة كما هو للرجل، وتخاطب بمثل ما يخاطب. فقد اخترت أن أناقش - ولظروف بحثية بحتة - كل ما من شأنه أن يكون تربية للمرأة في سورة من سور القرآن الكريم، ألا وهي سورة التحريم؛ لتضمنها دروسًا تربوية، ومبادئًا أخلاقية، يستنير منها المسلم - ذكرًا كان أو أنثى - مسالكه ويستوضح مطالبه. وهو موضوع - كما ترون - كبير، يستهوي القلوب، ويدعو لحث الخطا والمثابرة على الجهد، ولكنني - للأسف - لم أرعه تلك الرعاية، فاقتصر الجهد على وضع الخطوط، وتمني وجود محاولات أخرى في هذا الميدان تكمل النقص الحاصل بمواصلة البحث في هذا السياق، وكأن الأمر غدا بذرة دفنت في الأرض، وتنتظر من يرويها.

* * * * *

المبحث الأول:
أهمية تربية المرأة المسلمة تربية إسلامية

المطلب الأول:
المرأة مصنع الأمة وأساس بنيان

المرأة مصنع الأمة، وأساس بنيانه، فإن صلحت صلح البناء، وإن فسدت تزعزع وانهار، ولذا يجب أن تربى تربية صالحة، وأن تعلم تعليما جيدا، يقول الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ

بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[١] .

و الإسلام اهتم بها وبتربيتها ، كما اعتنى بها في كل أطوارها (بنتا ، وأختا ، وزوجة ، وأماً . .) فالقرآن والسنة يرسمان منهجا واضحا في تحديد شخصية المرأة المسلمة من حيث هي مكافئة للرجل تتحمل في جواره ما يتحمل ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[٢] " كما أنها تشاركه في الأمور العامة ، مثل مسألة الهجرة ، والمبايعة ، فقد بايع الرسول النساء كما حدث ذلك في بيعة العقبة الثانية ، وأفرد لهن بيعة يوم فتح مكة كما أنها تشاركه في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، و . . . "

و أيضا فيما يتعلق بشؤون الأسرة .

* * * * *

المطلب الثاني :
أولا : التعريف بسورة التحريم

هي سورة مدنية تتناول الشؤون التشريعية ، كما أنها تعالج قضايا وأحكاما تتعلق "ببيت النبوة " وبأمهات المؤمنين أزواج رسول اللهﷺ الطاهرات ، وذلك في إطار تهيئة البيت المسلم ، والنموذج الأكمل للأسرة السعيدة .

تناولت السورة الكريمة في البدء الحديث عن تحريم الرسولﷺ لجاريته ومملوكته " مارية القبطية " على نفسه ، إرضاء لرغبة بعض زوجاته الطاهرات ، وجاء العتاب له لطيفا ، يشف عن عناية الله بعبده ورسوله محمدﷺ ، ثم تناولت السورة أمرا على جانب كبير من الخطورة ألا وهو "إفشاء السر" الذي يكون بين الزوجين ، وختمت السورة بضرب مثلين: مثل للزوجة الكافرة في عصمة الرجل الصالح المؤمن ، ومثلا للزوجة المؤمنة في عصمة الرجل الفاجر الكافر ، تنبيها للعباد على أنه لا يغني في الآخرة أحد عن أحد ، إذا لم يكن عمل الإنسان صالحا ، وهو ختم رائع يتناسق مع جو السورة وهدفها في ترسيخ دعائم الفضيلة والإيمان .

ثانيا: سبب نزول سورة التحريم:

أ- روي أن النبي كان يقسم بين نسائه ، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول اللهﷺ في زيارة أبويها فأذن لها ، فلما خرجت أرسل إلى جاريته " "مارية القبطية" فعاشرها في بيت

---

(١) التوبة: ١٠٩ .

(٢) النساء: ١ .

حفصة ، فرجعت فوجدتها في بيتها ، فغارت غيرة شديدة ، وقالت: أدخلتها بيتي في غيابي وعاشرتها على فراشي؟! ما أراك فعلت هذا إلا لهواني عليك! فقال لها رسول الله ﷺ مسترضيا لها: «**إني حرمتها علي ولا تخبري بذلك أحدا**» ، فلما خرج من عندها قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة - وكانتا متصافيتين - وأخبرتها بسر النبي فغضب رسول الله ﷺ وحلف ألا يدخل على نسائه شهرا واعتزلهن فأنزل الله ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ..** ﴾ .

ب- وروي أن رسول الله ﷺ كان يدخل على زوجه "زينب" رضي الله عنها فيشرب عندها عسلا ، فاتفقت عائشة وحفصة على أن تقول له كل واحدة إذا دنا منها: أكلت مغافير - وهو طعام حلو كريه الريح - فلما مر على حفصة قالت له ذلك ، ثم دخل على عائشة فقالت له مثل ذلك - وكان رسول الله ﷺ يكره أن توجد منه رائحة كريهة - فقال عليه السلام: «**لا ولكني شربت عسلا عند زينب ولن أعود لـه**» وحلف ، فنزلت الآية .

* * * * *

المطلب الثالث:

١- تربية المرأة على عدم تحريم ما أحله الله

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...** ﴾ [التحريم: ١] .

لا يجوز للمؤمن أن يحرم ما أحله الله عليه من متاع ، فهذا رسول الله استوجب حرمانه لنفسه مما أحله الله له المؤاخذة وأن تتداركه مغفرة الله ورحمته ، حتى لقد فرض الله تحلة ليمينه التي يشير النص القرآني أنه قد حلفها ، ما دامت في غير معروف ، والعدول عنها أولى ، فالله سبحانه وتعالى يأمر الإنسان بما يناسب طاقته ، وبما يصلح له ، وما عليه أن يحرم إلا ما حرم ، ولا يحل غير ما أحل .

و بعد استقراء للواقع المعاش ، نلاحظ أن المرأة يحلو لها أن تحرم حلالا ولو على سبيل المجاملة ، في طريق الجود والكرم النفسي الذي عرفت به امرأة هذا البلد ، غير مدركة أنها توقع نفسها - ربما - في دائرة المحذور ألا وهو الشرك والعياذ بالله .

* * * * *

المطلب الرابع:
٢- تربية المرأة على أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

قال تعالى: ﴿ . . . تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ . . . ﴾ .

تكلف المرأة بتكاليف شرعية توجب عليها الالتزام، ولا تتمكن من هذا الالتزام ما لم تتحرر من أي تبعية قد تكلفها غيره. فالأمر والنهي لله وحده، وعلى المرأة أن تعرف بأن لا ولاء لا لأب أو زوج أو غيرهما، وأنها كيان مستقل لها رأيها الخاص والتزاماتها الخاصة، فهذا رسول الله قد بايعها بيعة مستقلة ليؤكد استقلاليتها وعدم تبعيتها للرجل، وبأنها مكلفة مثله وأهل لتحمل المسؤولية.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [1].

* * * * *

المطلب الخامس:
٣- تربية المرأة على التوبة

قال تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا . . . ﴾ .

و قال تعالى: ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ . . . ﴾ [التحريم: ٥].

قد تخطئ المرأة مبتعدة عن جادة الصواب، التي رسمها دينها الحنيف، إلا أن المؤمنة لا يدوم بقاؤها على معصية، وسريعا ما تؤوب وتستغفر تائبة إلى الله. فلا عصيان مع إيمان، فالمعصية لا تخالط قلب مؤمنة، وإنما هي لأهل عرفوا بها، وهي (أي المعصية) إن قاربتها سارعت إلى طردها بالتوبة، والمؤمنة لا يستريح قلبها، ولا تطمئن نفسها إلا متسمة روائح التوبة والغفران والرحمة.

* * * * *

(١) الآية ٢٣: سورة التوبة.

المطلب السادس:
٤- تربية المرأة على كتم الأسرار

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم: ٣، ٤].

للسر حرمة كبيرة، وخطورة عظيمة، وإفشاؤه موجد لمفاسد كثيرة تعود على المجتمع بأسره بمشاكل عديدة، فحفظه أمانة يتحملها الإنسان ويسأل عنها أمام الرحمن وبين عباده، وإفشاء السر بين الزوجين يكون على جانب أكبر من الخطورة؛ لأنه يهدد الحياة الزوجية، يؤكد ذلك سبب نزول سورة التحريم التي تناولت هذا الجانب، مبينة عظم شأن السر وخطورة إفشائه، فهذه حفصة ومعها عائشة بدأ الأمر بإفشائهما السر وانتهى بالتحريم مما أوجب العتاب للرسول ﷺ والوعيد والتخويف لأزواجه والسبب ما بدر منهن من إفشاء للسر. فالصبر على كتمان السر دائمًا أيسر من الندامة على إفشائه.

* * * * *

المطلب السابع:
٥- تربية المرأة على الإيمان

قال تعالى: ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ . . . ﴾ [التحريم: ٥].

إيمان المرأة بالله ويقينها بأن ما يجري في هذا الكون من حوادث إنما هو من قضاء الله وقدره، وما على الإنسان إلا أن يسعى في طريق الحق متوكلا على الله، هذا الإيمان هو أبرز ما يميز المرأة المسلمة، وهو الإيمان العميق الذي يزيد شخصيتها قوة ووعيا ونضجا، ويجعلها تتقي الله في السر والعلن، في الخلوة والجلوة، لعلمها أن الله معها دومًا يسمع ويرى، فتجني بذلك ثمرة إيمانها النفسية التي تسعى بها إلى أعلى المراتب.

* * * * *

المطلب الثامن:
٦- تربية المرأة على عبادة الله

قال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ...﴾ [التحريم: ٥].

تعلَمَ المرأة المَسلمةَ الواعية أنها مكلفة بالأعمال الشرعية التي فرضها الله على كل مسلم ومسلمة حيث لم تخلق في هذه الحياة الدنيا إلا لهدف كبير حدده رب العزة بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1]. ومن هنا كان عليها أن تؤدي فرائض الإسلام وأركانه أداءً حسنًا، لا تَرخَص فيه ولا تساهل ولا تفريط. ومن كمال شخصية المرأة المسلمة أن تقبل في عبادتها لربها بصدق وهمة عالية عبادةً تمتزج بقلبها حتى تكون سجية لها، تقيم الصلوات الخمس وتزكي مالها، وتصوم شهر رمضان وتقوم ليله، وتحج بيت الله الحرام، وتطيع أمر ربها، فهي وقافة عند حدود الله لا تتعداها، ولا تقع في الحرام، بل تلتمس دائمًا حكم الله ورسوله وتنزل عنده في كل ما يعرض لها في حياتها من شؤون، فالحياة في نظرها ليست في قضاء الوقت بالأعمال اليومية المألوفة، وإنما رسالة على كل مؤمن أن ينهض بها على الوجه الذي تتحقق فيه عبادته لله، يكون باستحضار النية في أعماله كلها، أن يبتغي بها وجه الله، ويتحرى مرضاته، ذلك أن الرسول ﷺ قد أكد أن الأعمال في الإسلام موقوفة على النية في قوله: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**».

و عليه تستطيع أن تحول المرأة المسلمة أعمالها كلها إلى عبادة في أكلها وشربها وعملها في بيتها وخارج بيتها، في وقوفها وجلوسها، وتربية أبنائها وصلة أرحامها... إلخ، ما دامت تريد بما تفعل طاعة الله وعبادتها إياه.

* * * * *

(١) الذاريات: ٥٦.

المطلب التاسع:
٧- تربية المرأة على الهجرة إلى الله

قال تعالى: ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ﴾ [التحريم: ٤].

السياحة سفر في الأرض للاعتبار، وفي مقامنا هنا تعني الهجرة، أي الخروج من أرض إلى أخرى، والانتقال من مكان إلى آخر سعيًا وراء مطلب من المطالب.

و لقد كان حكم الهجرة الوجوب حتى فتحت مكة، فسقطت الهجرة الواجبة وإن بقي حكمها من بلاد الكفر (الحرب) إلى بلاد الإسلام واجبًا إلى يوم القيامة ما خشي المسلم على دينه.

يقول الدكتور البوطي:

" . . . أما الهجرة من دار الإسلام فحكمها بين الوجوب والجواز والحرمة، أما الوجوب فيكون عند عدم تمكن المسلم من القيام بالشعائر الإسلامية فيها كالصلاة والصيام والآذان والحج . . وأما الجواز فيكون عندما يصيبه فيها بلاء يضيق به، فيجوز له أن يخرج منها إلى دار إسلامية أخرى. وأما الحرمة فتكون عندما تلتزم هجرته إهمال واجب من الواجبات الإسلامية لا يقوم بها غيره".

مما سبق تستطيع المرأة أن تحدد حكم هجرتها إلى الله بحسب الواقع الذي تعيشه، ويبقى أن يصح عزمها، وتنشط همتها في اللجوء إلى الله والسير على نهجه وصراطه المستقيم.

* * * * *

المطلب العاشر:
٨- تربية المرأة على وقايتها لنفسها وأهلها من النار

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ . . . ﴾ [التحريم: ٦].

إن الإسلام دين أسرة، ومن ثم يقرر تبعة المؤمن في أسرته وواجبه في بيته، والبيت المسلم هو نواة الجماعة المسلمة وهو الخلية التي يتألف منها ومن الخلايا الأخرى ذلك الجسم الحي المجتمع الإسلامي، لذلك كان المؤمن مكلف هداية أهله، وإصلاح بيته، كما هو مكلف هداية نفسه وإصلاح قلبه فالأب المسلم وحده لا يكفي لتأمين بيته لذا كان لا بد من الأم المسلمة أن تعاونه ليقوما معًا على الأبناء والبنات، فعبئًا يحاول الرجل أن ينشأ المجتمع

الإسلامي بمجموعة من الرجال، فلابد من النساء في هذا المجتمع، فهن الحارسات على النشء الذي هو بذور نجني ثمارها في المستقبل وبذلك كان واجب المرأة أن تتجه بالدعوة أول ما تتجه إلى بيتها وأهلها فهو قلعة من قلاع العقيدة ولابد من سد الثغرات فيه، قبل أن تذهب بدعوتها بعيدًا لوقايتهم من النار الشديدة الغليظة وتحول بينهم وبينها قبل أن تضيع الفرصة ولا ينفع الاعتذار في يوم الجزاء. ويكون ذلك بإدراكها لمسؤوليتها الكبرى تجاه أولادها في تكوين شخصياتهم الخيرة الصالحة. وعبر عن ذلك الحديث الشريف بقوله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»، ثم قال: «**والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**». كما أن على المرأة المسلمة أن تسلك في تربية أبنائها أنجع الأساليب وأذكاها في صقل نفوسهم لتغرس فيها القيم العليا والشمائل الرفيعة والأخلاق العالية. وعلى المراة أيضا أن تكون منتبهة إلى كل ما يؤثر في تكوينهم وتوجيههم مفتحة العينين على أولادها ترقب تحركاتهم ونشاطاتهم وهواياتهم بحكم قربها منهم ومكثها بينهم مدة أطول من الأب وإنفتاح نفوسهم لها والإفضاء بما فيها لوالدتهم أكثر من والدهم، فتصوغ شخصياتهم الملائمة لمبادئ الإسلام وقيمه وأعرافه. ووعيها لمسؤوليتها هذه، يدفعها إلى أن لا تسكت عن أي انحراف أو ضعف أوتقصير تجده في بيتها أو أسرتها فيتحقق فيها الامتثال لقوله تعالى: ﴿ **قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ [التحريم: ٦] وقبل أن أختم هذه النقطة أذكّر بقوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[1].

* * * * *

المطلب الحادى عشر:
٩- تربية المرأة على الطمع في الجنة

قال تعالى: ﴿ . . . **عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ [التحريم: ٨].

يعرف الناس الطمع صفة ذميمة، لكن لولا الطمع لما تحرك الناس في الأرض ودبوا فيها دبيبا يعمرون أرض الله، مملكين فيها استخلافا مشروعا، بل وحالا مأمورين به. فكأن الطمع إذا وهو الطاقة الدافعة إلى بذل الجهد والنشاط أمرا مطلوبا (و إن لم يكن كل الطمع كذلك) وإذا كان هذا الطمع في الجنة فلصاحبه الحمد والثواب، حيث هذا الطمع يعد

(١) التوبة: ١٠٩.

المغزى وهدف الأهداف، كيف لا وكل سعي المسلم لأجل نيل رضا الله والفوز بجنته، فبهذا الطمع تصح النيات وتخلص الأعمال لوجه الله الكريم، وتحسن الأفعال، ويحل الرضا والتسليم، وتحلو الحياة، وتهون الملمات، إن الطمع في الجنة فضيلة تقود إلى كل خير وصلاح، وعلى الإنسان أن يتحلاها، ويتجلاها في كل أعماله.

* * * * *

المطلب الثانى عشر:
تربية المرأة على مجاهدة أعداء الله

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

منذ أزل الأزل تلون العداء لله بألوان الطيف كلها، تقليدًا أو ابتداعًا، إظهارًا أو إخفاءًا، كبيرًا أو صغيرًا، سريعًا أو بطيئًا... لكنه في نهاية المطاف عداء لله.

فكيف تُجَاهِدُ المرأة المسلمة أعداء الله؟؟

بالدعوة لإسكات أصواتهم والتقليل من آثارهم الضارة بالدين عليها وفي مجتمعها، وإن كان لابد فيكفيها أن تؤدي دور الجهاد في بيتها فبصلاحه يصلح المجتمع. قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

* * * * *

المطلب الثالث عشر:
١١- تربية المرأة من خلال ضرب الأمثال

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

في القرآن نماذج جيدة من النساء، وأخرى سيئة وما هذه وتلك إلا للفت الانتباه،

---

(١) التوبة: ١٦.

والسير على نهج خطاها إن كانت جيدة ، وأخذ العظة والعبرة بالابتعاد عما أتت به النماذج السيئة .

و في آخر سورة التحريم أمثلة من تلك النماذج وهي لنساء مؤمنات في بيوت كفار ، ونساء كافرات في بيوت أنبياء ، وقد يبدو القصد الواضح من ذكر هذه النماذج هنا هو تقرير الحقيقة الآتية: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ﴾ [النجم: ٣٩] .

فالإنسان أولا وأخيرًا مسؤول عن نفسه ، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وهو وإن أُلزم وقاية أهله من النار كما سبق وورد معنا ، إلا أنه لا يحمل أوزار الآخرين ويحاسب عليها وقد أدى ما عليه تجاههم من نصح وإرشاد وأمر ونهي قدر استطاعته كما أن قرب الإنسان وقرابته للصالحين لا تشفع له وتمنع عنه عذاب الله ، " فلا كرامة ولا شفاعة في أمر الكفر والإيمان " .

و النماذج المذكورة تحمل في طياتها العبر إثر العبر ، وما على المرأة المسلمة إلا أن تمعن النظر فيها لتستشف دروسًا كثيرة تربيها تربية إسلامية حقة ، فهاتان امرأتا نوح ولوط خانتاهما في أمور تتعلق بالدعوة فنالتا عقابًا في الدنيا ، وفي الآخرة نار جهنم وبئس المصير .

و بعد تلك النماذج السيئة ترد نماذج لنساء سرن وراء كلمة الحق فكانت السعادة في الدنيا والآخرة ، وهذه النماذج هي لامرأة فرعون التي أعطت الأجيال إثر الأجيال دروسًا عملية في الثبات على الإيمان والصبر على المحن وعلى تعذيب فرعون وترك نعم الملك وملذات الدنيا كلها لأنها تعلم أن بعض الشر أهون من بعض ، وفي المقابل رضوان من الله سبحانه وتعالى وفوز بجنته ، وامرأة أخرى هي مريم بنت عمران عليها السلام ، التي اصطفاها الله وأنبتها نباتًا حسنًا ، هي خير امرأة تعلم المرأة في كل زمان ومكان أنموذج الصبر وكيف تكون النفس الطاهرة الزكية ، العابدة ، المصدقة ، القانتة .

تم بحمد الله وتوفيقه كتابة هذه الصفحات عن تربية المرأة في سورة التحريم ، استخلصت فيها نقاطا تربوية عدة لم أناقش إلا أهمها ، فهناك ما زال بعد: تربيتها على القنوت ، وتربيتها على معرفتها لقدر نفسها ، وتربيتها على غير ذلك من الأخلاق الفاضلة والغايات السامية النبيلة التي بها تعمر الأرض وتزدهر الحياة وتحلو الدنيا ، وكل ذلك وأكثر منه يلخص ويوضح جليًا المنهج القرآني للتربية الصحيحة المستقيمة ، إلا أن الناس اليوم يرتضون لأنفسهم مناهج بشرية الوضع دونية المضمون فيستقدم أبناء الإسلام أعداءه ليؤطروا لهم سياسيات التربية الحديثة ومناهجها الدخيلة وهم (مدعيي الإسلام) يقلبون بين أيديهم كتاب رب العالمين الأعلم بهم وبمصالحهم!!

. . لكنني وكما سبق وأشرت اقتصرت فيما كتبت على وضع النقاط وحسب ؛ لفقدان الكفاءة العلمية مرة ، وتهيبا مرة أخرى فكانت الورقات السابقة مجرد ملاحظات سجلتها ، وخطوط وصفتها بعد مداومة النظر في القرآن الكريم العظيم .

* * * * *

المبحث الثاني :
المنهج النبوي في التعامل مع النساء

لقد أمر الله تعالى بأن يُعاشر النساء بالمعروف فقال جل ذكره: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [النساء: ١٩] ، والمعروف كلمة جامعة لكل فعل وقول وخلق نبيل يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في التفسير: أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقال رسول الله ﷺ : «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» ، وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر يداعب أهله ويتلطف بهم ويوسعهم نفقته ويضاحك نساءه" .

لقد كان عليه الصلاة والسلام القدوة الحسنة لأمته ، والنموذج البشري الكامل قال جلّ ذكره: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب: ٢١] ، والحديث عن هديه عليه الصلاة والسلام مع النساء حديث طويل متشعب ولا غرو فقد أوضح لأمته: «**أنهن شقائق الرجال**» ، ولعلي أقصر حديثي عن هديه الشريف مع نسائه ، أو بعبارة أخرى: كيف عاش عليه الصلاة والسلام زوجا؟ وكيف تعامل مع نسائه؟ وكيف راعى نفسياتهن؟ وماهي وصاياه وإرشاداته للرجال بضرورة رعاية حقهن زوجات ، وأمهات لأولادهم؟ وحسبي أن أسوق بعض الأحاديث دون شرح أو تعليق فهي كافية في إيضاح المراد مكتفيا بالإشارة إلى بعض ماتدل عليه تلك الأحاديث الشريفة:

* فقد أوصى بهن خيرا في نصوص كثيرة: منها حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة**» ، وحديث أبي ذر عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن المرأة خلقت من ضلع فإن أقمتها كسرتها فدارها تعش بها**» . وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خيارهم لنسائهم**» وفي لفظ: «**وألطفهم بأهله**» .

وعن بهز قال: حدثني أبي عن جدي قال: قلت يا رسول الله نساؤنا ما نأتي منها وما ندع؟ قال: حرثك أنى شئت غير أن لا تقبح الوجه ولا تضرب وأطعمها إذا طعمت واكسها

إذا اكتسيت ولا تهجرها إلا في بيتها كيف وقد أفضى بعضكم إلى بعض إلا بما حل عليها .

* وخوّف ورهّب من تزوج بأكثر من واحدة ثم لم يعدل بينهن: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من كان لـــه امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة أحد شقيه مائل**» .

* وأرشد بفعاله ومقاله إلى أهمية مراعاة ما طبعن عليه من الغيرة: عن أنس قال: (كان النبي ﷺ عند إحدى أمهات المؤمنين فأرسلت أخرى بقصعة فيها طعام فضربت يد الرسول فسقطت القصعة فانكسرت فأخذ النبي ﷺ الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى فجعل يجمع فيها الطعام ويقول: «**غارت أمكم كلوا**» فأكلوا فأمر حتى جاءت بقصعتها التي في بيتها فدفع القصعة الصحيحة إلى الرسول وترك المكسورة في بيت التي كسرتها) ، وعن عائشة قالت: (افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه فتحسست ثم رجعت فإذا هو راكع أو ساجد يقول: «**سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت**» فقلت بأبي وأمي إنك لفي شأن وإني لفي آخر) ، وقالت أيضاً: (التمست رسول الله ﷺ فأدخلت يدي في شعره فقال: «**قد جاءك شيطانك**» فقلت: أما لك شيطان؟ قال: «**بلى، ولكن الله أعانني عليه فأسلم**» .

* وكان وفيا لبعض نسائه غاية الوفاء حتى بعد وفاتهن: فعن عائشة قالت: (ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ لها قالت وتزوجني بعدها بثلاث سنين) .

* كما كان عليه الصلاة والسلام يتيح لهن أن ينفذن شيئا من غيرتهن بحيث لا يتجاوزن الحد المشروع ، ويضفي على سلوكهن ذلك المرح والابتسامة: فعن أبي سلمة قال: قالت عائشة: زارتنا سودة يوما فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها إحدى رجليه في حجري والأخرى في حجرها فعملت لها حريرة أو قال خزيرة فقلت كلي فأبت فقلت لتأكلي أو لألطخن وجهك فأبت فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهها فرفع رسول الله ﷺ رجله من حجرها تستقيد مني فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهي ورسول الله ﷺ يضحك فإذا عمر يقول: يا عبد الله بن عمر يا عبد الله بن عمر فقال لنا رسول الله ﷺ : «**قوما فاغسلا وجوهكما فلا أحسب عمر إلا داخلا**» .

* بل إنه عليه الصلاة والسلام بيّن لأمته أن اللهو واللعب مع الزوجة مما يثاب عليه الرجل ، بل لا يعد من اللهو أصلا: ففي حديث عطاء بن أبي رباح قال: رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عمير الأنصاريين يرميان فمل أحدهما فجلس فقال الآخر كسلت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل شيء ليس من ذكر الله فهو لغو ولهو إلا أربعة خصال مشي بين**

الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعليم السباحة» .

* وكان يراعي فيهن حالهن والسن التي كان عليها بعضهن: فعن عائشة قالت: (كنت ألعب بالبنات فربما دخل علي رسول الله ﷺ وصواحباتي عندي فإذا رأين رسول الله ﷺ فررن فيقول رسول الله ﷺ كما أنت وكما أنتن) .

* وكان إذا بدر منهن شيء يسوؤه لم يكن يقابله إلا بالحكمة واللطف: فعن أنس بن مالك قال: كانت صفية مع رسول الله ﷺ في سفر وكان ذلك يومها فأبطأت في المسير فاستقبلها رسول الله ﷺ وهي تبكي وتقول حملتني على بعير بطيء فجعل رسول الله ﷺ يمسح بيديه عينيها ويسكتها فأبت إلا بكاء فغضب رسول الله ﷺ وتركها فقدمت فأتت عائشة فقالت يومي هذا لك من رسول الله ﷺ إن أنت أرضيتيه عني فعمدت عائشة إلى خمارها وكانت صبغته بورس وزعفران فنضحته بشيء من ماء ثم جاءت حتى قعدت عند رأس رسول الله ﷺ فقال لها رسول الله ﷺ : «**ما لك**» فقالت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فعرف رسول الله ﷺ الحديث فرضي عن صفية وانطلق إلى زينب فقال لها إن صفية قد أعيا بها بعيرها فما عليك أن تعطيها بعيرك قالت زينب أتعمد إلى بعيري فتعطيه اليهودية فهاجرها رسول الله ﷺ ثلاثة أشهر فلم يقرب بيتها وعطلت زينب نفسها وعطلت بيتها وعمدت إلى السرير فأسندته إلى مؤخر البيت وأيست أن يأتيها رسول الله ﷺ فبينما هي ذات يوم إذا بوجس رسول الله ﷺ فدخل البيت فوضع السرير موضعه فقالت زينب يا رسول الله جاريتي فلانة قد طهرت من حيضتها اليوم هي لك فدخل عليها رسول الله ﷺ ورضي عنها[1] .

* * * * *

المبحث الثالث:
دور المرأة التربوي... المأمول والمعوقات

من الأمور التي اجتمع عليها المربون إقرارهم بأهمية التربية بوصفها عاملاً رئيساً في توجيه الأفراد نحو أهداف المجتمعات، ولمدى أهميتها فقد لفتت انتباه العلماء المسلمين الذين دوَّنوا في موضوعات التربية الإسلامية مؤصلين لها، ومبرزين عناصرها وأهدافها وسبلها، والمؤثرات التي تؤثر في نتائجها، والتأثيرات التي تشعها التربية الإسلامية في المجتمع، بل كان من اهتمام علماء التربية الإسلامية التركيز على التربية البيتية أو المنزلية باعتبارها قاعدة

(١) د. محمد علي الغامدي.

أساسية في إعداد الأفراد موضحين بشكل بارز أهمية دور الوالدين في تلك المهمة .

وتبعاً لهذا فإن إبراز دور المرأة التربوي والعوامل التي تساعد على إظهار ذلك الدور بوصفها وظيفة من أهم الوظائف بل هي أهم ما يجب أن تتقنه المرأة ، والأمور التي تعيقها عن أداء وظيفتها تلك يعد موضوعاً جديراً بأن يهتم به كل من يعنيه أمر التربية والنشء ومستقبل الأمة .

* * * * *

المطلب الأول :
دور المنزل في تنشئة الفرد

تعد السنوات الأولى التي يقضيها الطفل في منزله من أكبر المؤثرات المسؤولة عن تشكيله في المستقبل ؛ ذلك أن المجتمع المنزلي يعد أول مجتمع ينمو فيه الطفل ويتصل به ويستنشق الجو الخلقي منه ، بل إنه ومن خلال الجو العاطفي الموجود في البيت فإن الطفل يعتمد على والديه في أحكامه الأخلاقية وفي مَدِّه بتقاليد وعادات وأعراف مجتمعه .

ولأجل ذلك فقد أرجع المربون أن إحساس الطفل بحب الأبوين ناشئ من ممارسة الأسرة لوظيفتها في التنشئة الاجتماعية ، بل إن تفعيل كل الوظائف التربوية لن يتحقق إلا بتكاتف جهود وأهداف الوالدين .

فمن الأدوار التي يجب أن تمارسها الأسرة ويضطلع بها المنزل قبل وبعد سن دخول المدرسة العنايةُ بالنمو الجسمي من خلال رعاية الطفل صحياً ؛ وذلك باستكمال أسباب الصحة في الغذاء ، والراحة الكافية ، والمسكن الملائم ، والرعاية الصحية الوقائية .

ومن الأدوار كذلك العناية بالنمو العقلي للطفل الذي يتأتى من خلال اكتسابه للغة الأم في المنزل ، وما يتبع ذلك من توسيع لمداركه وزيادة لمعارفه ، كذلك فإن من أهم الأدوار الوظيفية التي تمارسها الأسرة هي إشباع حاجات الطفل النفسية ، ومن خلال الأسرة يتحقق للطفل النضج الانفعالي ؛ وخاصة إذا توفرت في المنزل أسباب ذلك النضج ؛ فمن خلال الأسرة يتعوَّد الطفل القدرة على التعامل مع الآخرين ، ومن خلالها أيضاً تساهم الأسرة في الارتقاء الأخلاقي لدى الطفل ؛ إذ تنمو شخصيته الأخلاقية ؛ ويُعزز ذلك كله حين تقوم الأسرة بدورها في إكساب الطفل الدين الذي تعتنقه .

ومن أجل ذلك نستطيع أن نقرر حقيقة أن للوالدين دوراً هاماً في تربية الطفل لا يستطيع المعلم أو أي شخص آخر أن يحل محلهما ؛ فقد يستطيع المعلم أن يزوِّد الطفل بحصيلة من المعلومات قد تجعل منه دائرة معارف ، لكنه يفتقد ما للوالدين من تأثير على

اتجاهات الطفل نحو الحياة .

ولهذا فقد حرص علماء التربية الإسلامية على تأكيد ضرورة إعداد المرأة لممارسة دورها بل وانتقائها قبل إنجاب الأولاد مؤكدين على حقيقة أن تربية النشء تحدث قبل ولادتهم باختيار الأمهات .

يقول أكثم بن صيفي لأولاده: "يا بَنِيَّ! لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب ؛ فإن المناكح الكريمة مَدْرَجةٌ للشرف" .

وقال أبو الأسود الدؤلي لبنيه: "لقد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا . قالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من الأمهات من لا تُسَبُّون بها" .

ولهذا فإن من أول حقوق الوالد على والده أن يختار له الأم المؤمنة الكريمة ذات الهدف من الحياة التي تحسن تربيته ، وتقوم على شؤونه ، وتتعاهد دينه وعقيدته ؛ لأن الطفل والطفلة ينتقل إليهما كثير من صفات أمهما النفسية والخلقية ، بل يمتد هذا التأثير مدى الحياة .

* * * * *

المطلب الثاني:
الأدوار التربوية المناطة بالمرأة الأم

مما هو معروف بالبديهة أن الأدوار التربوية المناطة بالمرأة الأم تتخذ أهميتها من كونها هي لب العمل الوظيفي الفطري الذي يجب أن تتصدى له المرأة ، وهذا يعني ضرورة أن تسعى الأم إلى ممارسة دورها بشكل يحقق نتائجه التي يأملها المجتمع ، وهذا يعني أيضاً ضرورة إعداد المرأة الأم لأداء ذلك الدور قبل مطالبتها بنتائج فعالة ، وأعتقد أن ذلك الإعداد لا بد أن يشمل:

١ – غربلة المناهج الدراسية: بحيث يكون الغرض الأساسي من تلك الغربلة وإعادة الصياغة إعانة

(المرأة الأم) في وظيفتها داخل منزلها الذي يُعد المقر الوظيفي الرئيسي لها ؛ لا أن يكون دور المناهج الدراسية تهيئة المرأة لتمارس وظيفة خارج المنزل ، وفي حالة إعادة التكوين والصياغة هذه ؛ فإن المناهج ستساهم في دعم دور الأبوين في إعداد الفتيات للاقتناع أولاً بمهمتهن الأولى ، ثم في التعرف على صور وأنماط عديدة لأصول التربية السليمة وطرقها ، والتي من الممكن الانتقاء منها حسب عدد من المعطيات ووفقاً للظروف المواتية ، وبهذا

ستؤدي المناهج الدراسية **دورين أساسين**:

أ - دوراً إعدادياً للمرأة للقيام بوظيفتها التربوية .

ب - دوراً مسانداً ؛ حيث ستشكل المناهج معيناً نافعاً تستمد منه المرأة سبلاً وطرقاً تربوية ناجحة ونافعة .

٢ - الإعلام: نظراً لأن إعداد المرأة لممارسة وظيفتها التربوية يشكل ثقلاً عظيماً في النظرة الشاملة لمصلحة الأمة عموماً ؛ فإن إعادة اهتمامات الإعلام بتلك المسألة من الأهمية بمكان ؛ وهو أمر يستلزم قيام جميع القنوات الإعلامية بإبراز ذلك الدور والتركيز على ممارسة المرأة دورها بنفسها ؛ فهي وظيفة لا يجوز فيها التوكيل ، بل إن تصدي المرأة لدورها بنفسها بوصفها أيضاً مربية يعد مسلكاً عظيماً في رقي الأمة ، بل هو الطريق الأساسي لتحقيق آمال الأمة ثم إعادة صياغتها فعلياً عبر التربية إلى نواتج قيِّمة تضاف إلى رصيد الأمة الحضاري ، ولأجل ذلك فإن من الضروري أن تضع وسائل الإعلام ضمن أهدافها تبني المفهوم القائم على أن رقي الأمة مطلب إسلامي حضاري لن يتأتى إلا من خلال إعادة تكوين النظريات التربوية وتأسيسها بما يتفق مع الأصول والمصادر السليمة التربوية المعتمدة على المصادر الإسلامية ، وأيضاً من خلال إعداد الكوادر التي تستطيع ترجمة تلك النظريات إلى واقع ؛ أي العناية والتشجيع لإعداد المرأة الأم المربية التي تمتص ما يجب أن تفعله لتعيد تكوينه رحيقاً تربوياً يداوي جراح الأمة .

٣ - تبني مسؤولية التربية: لا تستطيع المرأة أن تؤدي دورها التربوي ما لم تتبنَّ تلك القضية وجدانياً من خلال حملها لهمّ التربية ، ويقينها التام بدورها في إعداد الفرد ، وانعكاس ذلك على صلاحه وصلاح الأمة ، ثم سعيها الدؤوب نحو تزويد من تعول تربوياً بما صح وتأكد من مغانم تربوية كسبتها

من خلال ما نالته في رقيها التربوي الإسلامي ، ويتأتى ذلك عن طريق دعم حصيلتها العلمية الشرعية ؛ إذ إن جزءاً من مهامها التربوية يعنى بتشكيل عقيدة الأبناء ومراقبتها ، وتعديل أي خلل يطرأ عليها .

ولهذا ، ولأهميته فإن أول دور يُناط بالأم هو:

١ - التربية العقائدية:

لا تتمكن الأم من القيام بتلك المهمة ما لم تكن معدة لهذا الأمر من خلال علم شرعي يعينها على أداء هذه المهمة ، ولا يعني هذا أن تتوقف المرأة عن ممارسة ذلك حتى تكون

طالبة علم . إن على الأم معرفة الأساسيات التي لا يقوم دين العبد إلا بها كأصول المعتقد وما تشمله من أصول الإيمان ، وأقسام التوحيد وشروط لا إله إلا الله ونواقض الإسلام ، وأقسام الشرك والكفر وأنواع النفاق ، كما أن عليها معرفة الحلال والحرام خاصة ما استجد في هذه الأزمنة من مستجدات أوضح العلماء حكمها .

إن دور المرأة الأم هو قيادة قاطرة التربية في أرض مليئة بشوك الشبهات المضلة ، والشهوات المغرية ، والفتن السوداء .

على المرأة الأم أن تدرك أن منهج تربية النشء في الإسلام يقوم في أصوله وأساساته على مرتكز الإيمان بالله وحده ، وهو منهج متوافق مع نظرة الله التي فطر الناس عليها . قال ﷺ : «**كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**» .

إن التطبيقات الضرورية لهذا الدور التربوي الهام تتضح من خلال عدد من الإجراءات منها:

تربية الأبناء على حب الله ورسوله ، ربط قلوبهم بالله ومراقبته في كل تصرفاتهم ، ويكون ذلك منذ طفولتهم المبكرة ؛ إذ يُعلَّمون النطق بالشهادتين ، ويُوجَّهون إلى إرجاع كل نعمة إلى الله وحده ، وحينما تشب أعوادهم يُعوَّدون على قراءة كتب العقيدة المناسبة لأعمارهم .

- ربط أصول العقيدة وفروعها بمناحي الحياة ؛ مما ينتج عن ذلك حماسهم لها ودفاعهم عنها ؛ فيتأكد لدى الطفل أنه لأجل الإيمان بالله وعبادته خُلق ؛ فيعيش تأكيداً لمعاني ذلك الإيمان محققاً العبودية لله وحده ويموت دفاعاً عنها .

ومهمة المرأة الأم في هذه الأمور واضحة ؛ فهي من يُشربه عند نُطق الحروف الأولى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ، ثم هو يراها نموذجاً قائماً أمامه يحاكيه ويقلده حين تكون كل حركاتها وسكناتها تهدف إلى تأكيد معنى كلمة الإخلاص ؛ فهي حريصة على ألا يُعبَد في المنزل إلا الله وحده ؛ فلا يدعى إلا هو ، ولا يسأل إلا إياه ، ولا يستعان أو يستغاث إلا به ، ولا يُخاف إلا منه ، ولا يُتوكل إلا عليه ، ولا يُذبح إلا له ، ولا يُصرف أي شيء من أمور العبادة إلا لله وحده ، فيشب الناشئ وينشأ الطفل وهو يرى العقيدة الصافية تشع في كل أنحاء البيت .

ويندرج ضمن هذه التربية تعويد الطفل منذ مرحلة تمييزه على الأداء الصحيح للعبادات ؛ فقد قال ﷺ : «**مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**» ؛ إذ على الأم أن تُعوِّد مَنْ تعول على البعد عن الأمور المستنكرة شرعاً وعُرفاً ، وتعرفهم على أحكام الحلال والحرام حتى يعتادوا ذلك ولا يأنفون منه ، وعلى الأم أن تُعوِّد الأطفال على الطاعات كالصلاة والصيام وقراءة القرآن ، وتحذرهم من

ارتكاب المعاصي كالكذب والسرقة والخيانة والغش .

التربية السلوكية:

بتأكيد أهمية البيت في تبني السلوكيات الطيبة تتضح مسؤولية ما تقوم به المرأة في تفعيل دورها العظيم في زرع هذه السلوكيات ، وقلع أي سلوك سيئ ينشأ في حديقتها التربوية حيث رعيتها الصغيرة ، وتهذيب أي سلوك ينشأ منحرفاً عن مساره .

إن مهام المرأة في ذلك الدور كما هو في جميع مهامها التربوية لا بد أن يسير بمشاركة الوالد تدعيماً وعوناً ، وفيما يخص مهمته التربوية ؛ فإن تعاضد المرأة والرجل في بذر السلوك الحسن وتكوين القدوة الصالحة له أنجع الأمور للوصول إلى نتائج سريعة ومثمرة ، ولأن المربين قد أدركوا أن من ضمن الأسس التي ترتكز عليها المنهجية التربوية الإسلامية في التربية هو إيجاد القدوة الحسنة ؛ فقد حرصوا على ذلك الأمر من منطلق أن الطفل يبدأ إدراكه بمحاكاة ذويه ومن حوله حتى يتطبع بطبائعهم وسلوكياتهم وأخلاقهم .

وفي مقابل غرس السلوكيات الحسنة كان إهمال أي سلوك يأخذه الطفل من البيئة المحيطة يعني تشرُّبه السلوكيات الخاطئة واستنكاره أي نصيحة مقومة له . وغالباً ما يأتي الإهمال من قِبَل الوالدين جميعاً أو باتكال أحدهما على الآخر ، أو كما قال ابن القيم: "وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله ، وترك تأديبه ، وإعانته على شهواته ، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه ، وأنه يرحمه وقد ظلمه ، ففاته انتفاعه بولده ، وفوَّت عليه حظه في الدنيا والآخرة ، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قِبَل الآباء"

ولهذا أيضاً كانت المنهجية التربوية الإسلامية تعتمد على مراقبة سلوك الطفل وتصرفاته وتوجيهه في حينه إلى التعديل المناسب لذلك السلوك مهما كان ذلك السلوك حقيراً أو عظيماً .

وتبعاً لذلك فإن من تطبيقات تلك المهمة التربوية:

١ - حفظ الطفل من قرناء السوء .

٢ - أن تمارس المرأة مهمتها بإخلاص في غرس الفضائل والعناية بالواجبات ، وتعويد الصغار على معالي الأمور .

٣ - ربط النشء بسيرة الرسول ﷺ والصحابة ، وتعليقهم بما تشمله سيرة الرسول ﷺ وتراجم الصحابة من علو ورفعة وعزة .

٤ - أن تضع المرأة شعاراً تطبقه في تربية من تعول تعتمد على تفعيل حديث الرسول ﷺ : «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالِقِ الناس بخُلق حسن**» .

التربية النفسية:

تعتمد تلك المهمة على إقرار حقيقة في الصحة النفسية هي أن العطف والحنان بلا إفراط ولا تفريط هما أساس الصحة النفسية لدى الأفراد؛ فينشأ الأطفال ويشب النشء وهم مترفلون بهذه الصحة؛ ولهذا فقد مدح الرسول ﷺ صفة الحنان في نساء قريش بقوله: «**صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده**».

وهذه التربية النفسية لا تتأتى فقط بما تمنحه الأم من رعاية وحنان وعطف جُبلت النساء عليه، وإنما لا بد من تعاضد الوالدين جميعاً في تهيئة البيئة المنزلية لتكون بيئة صالحة هادئة ينشأ فيها الطفل متزناً واثقاً من نفسه؛ إذ ثبت أن الحياة العائلية المضطربة والمشاحنات بين أفراد الأسرة وبخاصة قطبيها الأب والأم يؤثران بشكل ملحوظ على تكوين شخصية مضطربة تنفر من الحياة وتكرهها، وثبت أيضاً أن أغلب الأمراض الخُلُقية مثل الأنانية والفوضى وفقدان الثقة بالنفس وعدم الإحساس بالمسؤولية والنفاق إنما تبذر بذرتها الأولى في المنازل، وأن من الصعوبة على المدرسة والمجتمع استئصال تلك الأمراض إذا تزمَّنت وتمكنت في نفس النشء أو الأطفال.

التربية الجسمية:

تبدأ تلك التربية منذ وقت مبكر حين تركز المرأة عنايتها بما خُلق في رحمها من خلال اهتمامها بالتغذية والراحة، ثم تستمر تلك التربية بعد الولادة حين يضع المنهج الإسلامي مسألة الرضاعة وتغذية الرضيع من المسائل الأساسية التي تُكلَّف بها المرأة. قال الله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾[1].

ولكي تمارس الأم ذلك الدور لا بد أن يكون لديها وعي تام بأهمية هذا الجانب التربوي المعتمد على الثقافة الصحية المتوازية مع التطبيق العملي لهذه الثقافة[2].

* * * * *

(١) البقرة: ٢٣٣.

(٢) د. أفراح بنت علي الحميضي.

المطلب الرابع:
معوقات في أداء الأدوار التربوية

إذا كانت تلك بعض الأدوار التربوية المناطة بالمرأة بوصفها أُمّاً فإن مما يُعطل تلك الأدوار عن أداء مهمتها بفعالية، ومما يعيق المجتمع عن الحصول على ثمار يانعة معوقات من الممكن حصرها في

١ – معوقات ذاتية تتمثل في:

- قصور في الإعداد النظري للمرأة لممارسة دورها التربوي.
- قلة وعي المرأة بأهمية دورها التربوي وأهمية ناتجها على المجتمع.
- إشغال الأم أو انشغالها بممارسات ثانوية تعطل وظيفتها الأساسية كانشغالها بوظيفة خارج المنزل.

٢ – معوقات خارجية تتمثل في:

- الاعتماد على شخصيات بديلة تمارس دور الأم كالمربية الخارجية والخادمة، ويتأتى ذلك الاعتماد السلبي حين تعتقد الأم أن التربية عبء لا ناتج له معطل لقدراتها.

- تشجيع وسائل الإعلام المرأة للخروج من المنزل وممارسة أدوار بديلة لدورها الأصلي الأساسي، بل الدعاية لتلك الأدوار والوظائف واعتبارها خدمات أولية تقدمها المرأة للمجتمع تفوق في ناتجها دورها التربوي، وهذه الدعاية ساهمت في صرف المجتمع عن تأكيد دور الأم المربية إلى تشجيع دور الأم العاملة أو المرأة العاملة؛ وذلك بتشجيع تأخير الإنجاب.

- عدم قيام المؤسسات التعليمية بأدوارها في إعداد المرأة الأم وتشجيعها لممارسة دورها التربوي إضافة إلى ازدحام قائمة المناهج الدراسية بمواد بعيدة الصلة عن الحاجات الفعلية للمرأة مما يترتب على ذلك عدد من النتائج أبرزها طول فترة اليوم الدراسي باعتبارها أول تلك النتائج، وثانيها طول فترة المرحلة الدراسية، ثم ثالثها ضعف إعداد المرأة تربوياً، وتبعاً لذلك فقد تتأخر المرأة أو تتعطل في أداء دورها التربوي.

توصيات:

أَخلُص من ذلك كله إلى عدد من التوصيات تتعلق بالمرأة المربية والنشء والطفولة بل والأسرة مما يعزز فعالية المرأة:

أولاً: تكثيف البرامج التعليمية في مدارس تعليم البنات فيما يخص إعداد المرأة إعداداً فعلياً لأداء دورها الوظيفي .

ثانياً: إنشاء مراكز لأبحاث الطفولة والناشئة تكون غايتها بحث أفضل السبل لوضع منهجية تربوية قائمة على أصول شرعية قادرة على مواجهة المتطلبات المتصاعدة للحياة العصرية ؛ بحيث تمد تلك المراكز الأمهات ودور الحضانة ومدارس المرحلة الابتدائية بالأبحاث والدراسات فيما يخص الطفولة والناشئة وكيفية تواؤمها مع المجتمع بما يحافظ على أصالة التربية .

ثالثاً: إنشاء مراكز لسلامة الطفولة ودعمها ، غايتها بث وعي إعلامي وقائي للأمهات والآباء فيما يخص سلامة أطفالهن من كافة أنواع المخاطر كحالات الحرق ، والغرق ، والخنق ، والسقوط ، . . . إلخ .

رابعاً: تكثيف المواد الإسلامية وخاصة مسائل التوحيد في مناهج ما قبل المدرسة ، وعرضها بطريقة تناسب عقول الصغار ؛ ففي هذه المرحلة تغرس مبادئ التوحيد بأنواعها الثلاث في عقولهم الغضَّة ، مما يشكل دعماً لجهود الوالدين في تلك القضية .

خامساً: إنشاء هيئة عليا للدراسات الأسرية التربوية تختص بتذليل كافة السبل لدعم البرامج التربوية في مناهج التعليم ، وتهيئة الظروف لتحقيق توافق أسري داخل البيوت من خلال البرامج والدورات التدريبية التي تشمل فيما تشمل دورات أسرية لمرحلة ما قبل الزواج ثم مرحلة ما بعد الزواج ، كما يكون من ضمن اختصاصها فتح قنوات اتصالية مع الأمهات لبحث ما يعتريهن من مشاكل تربوية تعيقهن عن أداء دورهن .

* * * * *

المطلب الخامس:
علم المرأة وعملها

لم يكن الذين يدعون إلى تحرير المرأة في بداية القرن يحلمون بالوصول إلى ما وصلت إليه المرأة اليوم من العلم ، بل إنهم كانوا يعترفون أن أقصى ما يطالبون به هو تعليم المرأة العلم الابتدائي الذي يساعدها على تربية أولادها ومساعدتهم على التعلم ، أما ما وصلت إليه المرأة الآن من الثقافة والعلم فهذا أمر لم يكن بالحسبان ، خاصة أن طموح المرأة لا يقف عند حد ، فهي تسعى لإزالة كل ما يمكن أن يؤدي إلى التفرقة في المساواة بينها وبين الرجل ، لهذا ليس من المستغرب أن نجد في بنود الاتفاقيات الدولية الخاصة بالمرأة بنوداً تتعلق بواجب الدول الموقعة على الاتفاقيات في إيجاد المساواة بين الرجل والمرأة عبر تهيئة " نفس الظروف

للتوجيه الوظيفي والمهني ، وللوصول إلى الدراسات والحصول على الدرجات العلمية في المؤسسات التعليمية في جميع الفئات ، في المناطق الريفية والحضرية على السواء " .

والواقع أن هذه الاتفاقيات إذا كان يمكن أن تتماشى مع المجتمعات الغربية الأخرى فإنها لا تتماشى مع المجتمعات العربية التي لا زالت الفطرة تغلب على شريحة كبيرة من نسائها ، حيث لازالت الفتاة تتعلم لمجرد أن تنال شهادة ما تؤمن لها الزوج المناسب وتقيها عثرات الأيام ، هذا ما تؤكد عليه الدكتورة إلهام منصور حيث تقول عن المرأة اللبنانية: " إذا سألنا الأهل عن فائدة العلم بالنسبة للفتاة نسمع ، في أغلب الأحيان ، الجواب التالي: إن واجب المرأة الأول هو الزواج ، وإن لم توفق المرأة بزوج كما تريد ، أو إذا افتقر هذا الزوج أو إذا انقطع عن العمل لسبب من الأسباب فالمرأة المثقفة تستطيع العمل لتأمين العيش فقط ، فالعلم والعمل عند المرأة اللبنانية هما قوة احتياطية أكثر الأحيان لا تُستغل" .

لقد أنكر دعاة التحرر رغبات المرأة وحاجاتها الفطرية إلى تكوين الأسرة وإنجاب الأولاد ، وحاولوا الإثبات أنه ليس هناك فروق بيولوجية تمنع المرأة من العلم والعمل وإثبات الذات ، إنما الموانع هي موانع خارجية تتمثل في الإسلام الذي يقف حاجزاً في سبيل تعلم المرأة ، مع أن هذا مناف للحقيقة ، فالإسلام "لن يمنع المرأة من طلب العلم ، فهو الذي يدعوها إليه بل يفرضه عليها ، ولكن الإسلام يشترط في تعليمها وفي نشاطها كله شرطين اثنين: أن تحافظ على تربيتها وأخلاقها ، وأن تحافظ على وظيفتها الأولى التي خلقها الله من أجلها ، وهي رعاية الأسرة وتنشئة الأجيال ، وفي حدود هذين الشرطين تتحرك حركتها كلها " .

هذا هو المطلوب فقط ، المطلوب التعامل مع الأولويات ومع حاجات المرأة بصراحة لا كبتها كما تطلب إحداهن من زميلاتها المتحررات حيث تقول: " المتحررة حقاً هي التي تستطيع أن ترفض أي تدبير يتنافى مع اكتمال شخصيتها وتحقيق استقلالها ، وبين الاستقلال والزواج تختار المرأة المدركة الواعية الاستقلال حتى ولو ضحت بحياتها الاجتماعية ، لأنها تعلم أن حياتها الحالية في حياة لا تحمل مقومات استمرارها إلا من حيث الناحية الحيوانية فقط " .

هل هذا الكلام مقبول ، لا ، إن الإصلاح لابد أن يراعي حاجات الإنسان والمجتمعات ، ولا يفكر في مصلحة فرد دون آخر ، فما ينفع النساء إن حصلن على الشهادات العالية وحُرمن من نعمة الأمومة ، التي لا يكتمل كيان المرأة إلا بها ، وصَدَقت إيمان السباعي حين قالت: ' ويل لأمة تفخر بنسائها في كليات الهندسة ورجالها على الأزقة لا يجدون عملاً ، ولا

يفكرون في قضية ، ولا يحملون مسؤولية ، ويل لأمة أهانت رجالها لتثبت ذاتية نساء ضائعات " .

تمهيد:

أول ما نزل من كتاب الله هو الدعوة إلى القراءة . قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[١] .

وقد حث القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف على العلم ، فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[٢] . وقال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[٣] . وقال ﷺ : «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[٤] ، وقال رسول الله: «**إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة**»[٥] . وقال: «**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين – حتى النملة في جحرها وحتى الحوت – ليصلون على معلّم الناس الخير**»[٦] .

أشهر المعلمين:

وقد اشتهر كثير من الصحابة بالعلم ، كالخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وابن عمر وغيرهم ، وكانت أزواج النبي (المطهرات – ولاسيما عائشة رضي الله عنها – معلمات عظيمات ؛ نقلن إلى الأمة كثيرًا من الأحاديث النبوية ، وأحكام الشريعة الإسلامية .

* * * * *

المطلب السادس:
تعليم المرأة

والعلم فرض على كل مسلم ومسلمة ، فقد كان النساء في عهد النبي ﷺ يتعلمن منه آيات الله وما أنزل عليه من الأحكام ، وقد جعل النبي ﷺ لهن موعدًا يحضرن فيه لتلقي

---

(١) العلق: ١ – ٥ .
(٢) الزمر: ٩ .
(٣) فاطر: ٢٨ .
(٤) ابن ماجه والطبراني .
(٥) أحمد .
(٦) الترمذي .

العلم مثلهن في ذلك مثل الرجال تمامًا . فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قالت النساء للنبي: غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يومًا من نفسك ، فوعدهن يومًا لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن[١] .

١ - منـــزلة طالب العلم:

وقد كان الرسول ﷺ يفرح إذا رأى أحدًا من الصحابة مهتمًا بالعلم ، طالبًا له ، فقد ورد عن صفوان بن عسال المرادي - رضي الله عنه - أنه رأى النبي ﷺ وهو يبكي على برد له أحمر ، فقال له: إني جئت أطلب العلم . فقال النبي من: «**مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلـــم تحفه الملائكة بأجنحتها**»[٢] ويستحب طلب العلم في الصغر ، فقد ورد عن النبي ﷺ من قوله: «**أيمـــا ناشئ نشأ في طلب العلم والعبادة حتى يكبر، أعطاه الله - تعالى - يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صديقًا**»[٣] .

ولم يقف أمر التعليم على الحرائر من النساء والرجال ؛ بل نبه النبي ﷺ إلى ثواب تعليم العبيد والإماء ، حيث قال: «**أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها؛ فله أجران**»[٤] .

والإسلام يحث أتباعه - رجالا ونساءً - على التعلم ، ففتح أمام الرجل كل أفاق العلم أن يسبح فيها ، مادام هذا العلم نافعًا للإسلام والمجتمع ، ولم ينس الإسلام للمرأة حظها من العلم ، وإن كان يحثها على أن تتعلم ما هو أولى في حقها ، كالطب لعلاج النساء ، والتدريس لتعليم الفتيات ، والتمريض لتمريض النساء والفتيات ، فهذا أحرى ، كي يعلّم الرجل الشباب ، والمرأة النساء ، وكذلك الأمر في العلاج وغيره ، درءًا للاختلاط ، ومنعًا لانتشار الفساد في المجتمع .

٢ - ضوابط لتعليم المرأة:

وإن كان الإسلام أباح للمرأة أن تتعلم ، فقد وضع لها العديد من الضوابط ، ومن هذه الضوابط:

(١) تجنب الاختلاط الفاسد صونًا للأعراض وسدًّا لأبواب الفساد ، ولتوفير الجو

---

(١) البخاري .
(٢) أحمد والطبراني .
(٣) الطبراني .
(٤) البخاري .

المناسب الذي يساعد على تحقيق الهدف المطلوب من تربية المرأة وتعليمها .

(٢) عدم سفرها للتعلم دون محرم أو صحبة مأمونة من النساء ، حفظًا لها وتأمينًا لسلامتها ، قال ﷺ: «**لا يخلون رجل بامرأة، ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم**»[١] .

(٣) الاهتمام بتعليمها العلوم التي تفيدها أولا ، فيجب التركيز في تعليم المرأة على ما يثبت عقيدتها ، ويصحح عبادتها ، ويزكي أخلاقها ، ويتوافق مع فطرتها وأنوثتها ، ويخدم حياتها ، ويساعدها في تربية أبنائها ورعاية بيتها ، وبالجملة تعلم كل ما يعود عليها بالمنفعة في مهمتها الأصلية ، وطالما يفيد المجتمع المسلم .

(٤) عدم تعلم ما يفسد عليها معيشتها وحياتها ، ولا يتفق مع طبيعتها مثل الالتحاق بمعاهد السينما والتمثيل والمسرح .

٣ – نساء معلمات:

لقد أقبلت النساء في صدر الإسلام على التعلم والتفقه في أمور دينهم ودنياهم إقبالاً عظيمًا ، ولنا في أمهات المؤمنين القدوة الحسنة ، فقد كان ﷺ ينيب السيدة عائشة في شرح المراد من حديثه لمن لا تعي ما يقوله ﷺ ما في تصريحه به إحراج للسائلة ، كذلك علَّم الرسول ﷺ أسماء بنت عميس كيف تغسل المرأة الميتة ، فغسلت فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – ، وعلم أم عطية الأنصارية كيف تُختن الفتيات .

واشتهرت زينب طبيبة بني عواد بالطب في الجاهلية والإسلام ، وكانت فضلاً عن معالجتها الأبدان ، تحسن طب العيون والجراحة ، ولم يقتصر ظهور المتعلمات النابغات على الصدر الأول للإسلام ، بل امتدت الرحلة العلمية عبر مختلف حلقات التاريخ الإسلامي تاركة لنا القدوة الحسنة والنهج السليم ، والذي كان سبيلاً سلكته الكثيرات في العصر الحديث ، ومن بينهن السيدة ملك حفني ناصف (باحثة البادية) ، والتي أطلقت دعوتها بحق الفتاة في التعليم بما يوافق النظرة الإسلامية السليمة .

ومن الأفضل أن تخصص مناهج لتعليم المرأة خصوصًا ما ينفعها شخصيًا وينفع أسرتها وأولادها مثل الخياطة والتطريز والخدمة الاجتماعية ، ولعل أخطر ما يشهده تعليم المرأة هو التقليد الأعمى لكل أساليب ومناهج التعليم في الغرب الذي نتج عنه انحرافات في توجه المرأة نحو المجتمع وإهمالها لشؤون أسرتها وبيتها ، ويترتب على ذلك العديد من الأخطار التي لابد من معرفتها والقضاء عليها .

---

(١) البخاري .

(٥) كما يجب ألا يكون التعليم - رغم أهميته - عائقًا أمام سير المسلمة في حياتها الطبيعية ؛ كأن تؤخر سن الزواج بحجة إنهاء التعليم ، أو أن تهمل المرأة في حقوق زوجها وأبنائها بحجة الحصول على المزيد من التعليم والشهادات .

ومن الأمور التي يجب أن تراعى في التعليم في بلاد الإسلام:

(٦) عدم التقليد الأعمى للغرب ، بل يتعلم الطلاب ما يوافق طبيعتهم وبيئتهم ، مع محاولة رفع كفاءة المدرس والطالب ، حتى يكون التعليم في بلاد الإسلام ذا مستوى أعلى ؛ ليرجع على ما كان عليه في العصور الوسطى ، يقود العالم كله إلى الخير والتقدم والحضارة ، كما يستحب التشجيع من قبل الهيئات والمؤسسات للابتكار والتفوق بين الطلاب ، وأن يكون تعليم الطالب وفقًا لما يحب ويرجو ، حتى يستطيع خدمة دينه ووطنه .

٤ - الحرية:

رحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حينما قال لعمرو بن العاص - رضي الله عنه - وهو والي مصر: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟!) .

وذلك عندما ضرب ابنٌ لعمرو بن العاص غلامًا من مصر ، ولم يقتص عمرو من ولده ، فبعث عمر بن الخطاب - لما علم بذلك - إلى عمرو بن العاص أن يضرب ابنه .

وكثيرًا ما نسمع إنسانًا يقول حينما نريد أن ننبهه إلى خطأ ما قد ارتكبه: أنا . . . حر .

فنقول له: إنه ليس من حق الإنسان أن يقول إنني حر ثم يخطئ في غيره ويضربه ؛ فقد قال: «**لا ضرر ولا ضرار**» [(١)] .

ويشير هذا الحديث إلى ضرورة فهم المعنى الصحيح للحرية ، فهي لا تعني أن يفعل الإنسان ما يحلو له وما تشير إليه نفسه دون النظر إلى نتيجة هذا الأمر على نفسه أولاً ثم على غيره بعد ذلك .

والإسلام لم ينكر الحريات والحقوق ، بل صانها وأكد عليها ، فالحرية في الإسلام مشروعة بضوابط الأمر والنهي (افعل ولا تفعل) . فالإسلام أعطانا جوانب كبيرة من الحرية ، وأمرنا أن نمارس الحرية في إطار ضوابطها الشرعية التي حددها الله - سبحانه - .

فمثلاً أباح الإسلام التزين للمرأة ولكن بحدود معينة وضوابط محكومة ، فإذا خرجت

---

(١) ابن ماجه ومالك .

عن هذه الضوابط بزعم الحرية فقد أضرت بنفسها لأنها قد عصت الله تعالى وخالفت أوامره، وأضرت بمن حولها من الشباب الذين قد يفتنون بما يرونه من مظاهر التبرج. وقد كفل الإسلام الحرية السياسية للأفراد والجماعات، فليس في الإسلام كبت للرأي، أو قيد على حرية، فمن حق الشعب أن يحاسب حكامه على التقصير، ويجب على الحاكم أن يشاور شعبه في أمور بلدهم.

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة في ذلك؛ فكان الرسول (يشاور أصحابه في الأمور كلها، وكذلك فعل خلفاؤه الراشدون، فقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - في يوم توليه الخلافة: (إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني). وكذلك فعل عمر بن الخطاب وعثمان وعلي - رضي الله عنهم -.

وإذا نظرنا إلى المجتمعات الغربية، نجد أهلها يفهمون معنى الحرية فهمًا غريبًا وعجيبًا؛ فعندهم أنه من حق الإنسان أن يفعل ما يراه صحيحًا من وجهة نظره، ما دام لا يخرج على القانون، ومن المعروف أنهم هم واضعوا هذه القوانين؛ لتتوافق مع رغباتهم وأهوائهم، وهي قوانين غير محكومة بضوابط أو محدودة بحدود.

وبعض هذه القوانين قد أباحت بعض التصرفات غير الأخلاقية، بل إن القانون هو الذي يحميها ويحرسها، فالقانون عندهم يبيح لعب القمار وشرب الخمر والتعامل بالربا وممارسة الزنا وممارسة الشذوذ، وهناك قوانين لبعض الدول تعطي الحق للفتى والفتاة بعد سن البلوغ حرية الاستقلال عن أسرهم، وبلغ الأمر في بعض المجتمعات أن هناك جمعيات موجودة تقدم الإرشادات لأولئك الذين يرغبون في الانتحار والتخلص من حياتهم!! وتبين لهم أفضل وسائل الانتحار!! كل ذلك بحجة أن هذه حريات شخصية، لا ينبغي المساس بها أو منعها!!

أما في الإسلام، فليس من حق المسلم أن ينهي حياته بنفسه وينتحر، فالانتحار جريمة يحاسب عليها المرء يوم القيامة، وشرب الخمر، والزنا، ولعب القمار والربا جرائم يحرمها الإسلام. ويجب على كل مسلم أن يوقن أن الله - عز وجل - ما حرم شيئًا إلا وفيه ضرر عظيم للإنسان، وما أحل شيئًا إلا وفيه الخير له.

ومن عظمة الإسلام وحكمته أن من يخالف أوامر الله وتعاليم الإسلام ويتعدى الحدود المقررة، جعل الله له عقوبتين، فإذا أفلت من واحدة لن يفلت من الأخرى فالذي يسرق أو يزني أو يشرب الخمر - مثلاً - يُقام عليه الحد أمام أعين الناس؛ حتى يعتبروا به، وبذلك تنتظم شئون الناس فيما بينهم، وهذه عقوبة دنيوية.

أما العقوبة الأخروية فهي التي يذوقها الإنسان يوم القيامة ، فالذي ينتحر - على سبيل المثال - قد أفلت من عقاب الدنيا ، ولكنه سوف يحاسب حسابًا عسيرًا يوم القيامة على جرمه الكبير في تدخله في قدر الله - عز شأنه .

أسئلة لا بد من الإجابة عليها: ما هو مفهوم الحرية؟ ومن هو الإنسان المتحرر (رجلاً كان أم امرأة)؟ هل هو ذلك الإنسان الذي أطلق العِنان لنفسه وشهواته يفعل ما يشاء متى شاء وفي أي وقت شاء؟ وهل الحرية تعني تفلت الإنسان من المسؤوليات والواجبات كي يصبح كالحيوان هدفه من الحياة إشباع غرائزه وشهواته؟

لا ، إن معنى التحرر هو ذلك " التفكير العقلي والمنطقي في التخطيط للحياة بعيداً عن غول المؤثرات الخارجية مثل الأجواء والبيئة والعادات والتقاليد ومتطلبات العصر وغيرها ، أو الداخلية مثل النفس ، والشهوات والغرائز وما شابه ، والتحرر أيضاً يعني العمل قدر الإمكان والمستطاع لإعطاء كل ذي حق حقه فللنفس حق . . وللغرائز حق . . وللمجتمع حق . . وحدود كل ذلك هو عدم تجاوز حقوق النفس والآخرين ، وعدم الإسراف في ذلك" .

هذا المعنى لم يفهمه بعض دعاة التحرر من المسلمين الذين اعتبروا التحرر إطلاق العِنان للغرائز والشهوات دون اعتبار لمصلحة المرأة أو مصلحة عائلتها ، لقد فهموا التحرر بأنه التهجم على القيم والأخلاق والإسلام الحامي لهذه القيم ، لذلك اعتبروه العدو الأول للمرأة دون تفكير أو دراسة لتاريخه وتشريعه مكتفين بترداد ما نقله المستشرقون الحاقدون دون تمحيص ، مما يسهل على المطلعين على أقوالهم انتقادهم بسهولة لما فيها من كذب وتدجيل ، من هؤلاء أتباع الحركة النسوية العربية حيث تقول إحداهن: أن المرأة في الجاهلية كانت تتمتع بمزايا وحقوق سلبها منها الإسلام وتقول أخرى أن السيدة خديجة رضي الله عنها منحت الرسول أول عمل له ليتاجر في دمشق وكان عمره ١٢ عاما .

إن المشكلة التي تعاني منها المرأة العربية المعاصرة هي الفجوة الزمنية التي تفصلها عن العالم الغربي حيث تخطت الحركة النسوية العالمية feminism مرحلة تحرير المرأة والمطالبة بمساواتها بالرجل لتصل إلى مرحلة جديدة تسمى " مرحلة ما بعد الفمنزم " تحول فيها عمل المرأة العالمية إلى معالجة المشاكل الاجتماعية التي تسببت بها خروج المرأة إلى العمل وإهمالها لأسرتها .

لقد كان من آثار اتجاه المرأة نحو العمل ذلك التفكك الأسري الكبير الذي ترك بصماته على وضع المرأة بشكل خاص والمجتمع بشكل عام ، فكان أول هذه النتائج غياب نموذج

الأسرة التقليدية التي تشير الإحصائيات الغربية إلى أن نسبتها المئوية في تناقص كبير، فنسبة الأسر التي يعمل الأب فيها بينما تبقى الأم في البيت لرعاية الأطفال، أصبحت تمثل ٣٠٪ من العوائل في أميركا و١١٪ في بريطانيا، كما ارتفع في الوقت نفسه نسبة الذين يعيشون حياة زوجية دون رابطة قانونية، ففي بريطانيا ازدادت نسبة النساء اللاتي يعشن مع رجل دون رابطة رسمية من ٨٪ علم ١٩٨١ إلى ٢٠٪ عام ١٩٨٨.

وكان من هذه النتائج أيضاً تقليل معدلات الولادات، ورفع نسبة الطلاق وانتشار ظاهرة الأمومة المنفردة والعنف المنزلي الذي كثيراً ما يستدعي تدخل الدولة لتخليص المعنفة، وظهور مشكلة المسنين التي أصبحت أحدث مظهر من مظاهر تحلل روابط الأسرة التي لا تكن للمشاعر العائلية أي اعتبار.

* * * * *

المطلب السابع:
مسؤولية المرأة في الدعوة إلى الله

إن الله تعالى أمرنا بعبادته وحده وطاعته، ثم أمرنا بتبليغ دينه إلى الآخرين، وهو الدعوة إلى الصراط المستقيم دين الإسلام، دين الله الحق، قال الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾[1].

يقول ابن تيمية - رحمه الله -: (إن الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا).

وهذا يشمل الدعوة إلى العقيدة وأصول الإيمان، والتحذير من الشرك وأنواعه، والحث على فعل الطاعات والواجبات، والحث على اجتناب المعاصي والمحرمات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحبيب في الفضيلة والتنفير من الرذيلة، واتباع الحق، ونبذ الباطل.

كما أوجبت الشريعة على المسلمين التعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تتضافر الجهود، ويتعاون الجميع على إقامة الحق والعدل ومحاربة الفساد والظلم.

وقد جاء الخطاب الشرعي بالأمر بالدعوة إلى الله عاما لجميع الأمة يشمل الجنسين رجالا ونساء، لأن الخطاب إذا ورد بلفظ الذكور كان خطابا للنساء أيضا، إلا موضع الخصوص التي قامت أدلة التخصيص فيه، والقاعدة في واجبات المرأة كالقاعدة في حقوقها،

---

(١) النحل: ١٢٥.

فإن للمرأة حقوق وعليها واجبات مثل الرجل إلا فيما يختلفان فيه من القدرة والكفاية مما هو مناط التكليف، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما النساء شقائق الرجال**»(١)، وعلى ذلك فالدعوة إلى الله واجبة في حق النساء كما هي واجبة في حق الرجال كل بحسب قدرته.

ومن الآيات والأحاديث التي جاءت آمرة بالدعوة إلى الله تعالى، قوله جل وعلا: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢).

يقول الشوكاني - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ أي: ويدعو إليها من اتبعني واهتدى بهديي، وفي هذا دليل على أن كل متبع لرسول الله ﷺ حق عليه أن يقتدي به في الدعاء إلى الله، أي الدعوة إلى الإيمان به وتوحيده، والعمل بما شرعه لعباده.

وجاء الأمر بها صريحا في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣).

يقول ابن كثير - رحمه الله -: (المقصود منها أن تكون فرقة متصدية لهذا الشأن وإن كان واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه).

وأما النص على وجوب الدعوة إلى الله في السنة فمنها قول الرسول ﷺ: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(٤).

وقوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، فتدعون فلا يستجاب لكم**»(٥).

كل هذه النصوص وغيرها كثير تدل على وجوب القيام بالدعوة إلى الله، والأمر بذلك عام على جميع المسلمين رجالا ونساء، ولكن للدعوة مجالات وميادين مختلفة، منها ما يكون مناسبا للجميع، ومنها ما يكون مناسبا لفئة دون أخرى.

ولقد ضرب لنا نساء الأمة في جيلهن الأول أروع المواقف الدعوية مع الزوج والأبناء والأهل وفي أوساط النساء، كأمثال أمهات المؤمنين وبنات النبي ﷺ وكثير من نساء

---

(١) رواه البخاري.
(٢) يوسف: ١٠٨.
(٣) آل عمران: ١٠٤.
(٤) موطأ مالك ١٠٣٦.
(٥) مسند أحمد ٢٢٢١٢.

الصحابة ، كأسماء ذات النطاقين ، وأم سليم ، ونسيبة بنت كعب ، وصفية بنت عبد المطلب ، وأم شريك وغيرهن رضوان الله عليهن جميعا .

وعلى هذا فلا يختص هذا الواجب بالعلماء والدعاة وطلاب العلم بل هو عام على الجميع ، ولكن يختص العلماء وطلاب العلم بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه ، بل إن الواجب يتعلق بالعلم ولو بجزئية يسيرة من الدين ، فمن تعلمها وصار عالما بها وجب عليه العمل بها مع تبليغها للآخرين . فالمسؤولية مسؤولية كل مسلم ومسلمة ، كل على حسب قدرته وعلمه ، وقد قال النبي ﷺ : «**بلغوا عني ولو آية**»(١) .

إن بعض النساء تحصر الدعوة إلى الله في الدروس العلمية والمحاضرات ، وتستبعد أن يكون قيام المرأة بتربية أولادها وتأثيرها على زوجها ونصحها لزميلاتها في العمل أو صديقاتها في الدراسة أنها دعوة ، بينما هي في الحقيقة دعوة مباركة بلا هي أهم مجالات الدعوة .

هناك جانب مهم في موضوع الدعوة له أثر عظيم في تقوية الرغبة لغوص مجالات الدعوة والحرص عليها ، كما أنه يبعث العزيمة ويحمل على الصبرعلى ماقد يصيب الداعية ، ألا وهو العلم بما أعده الله تعالى من الأجر العظيم والمنزلة الرفيعة التي شرف الله بها الدعاة إلى طريق الخير والصلاح .

من هذه الفضائل العظيمة على وجه الاختصار:

١) من دعا الناس فهو خير الناس ، قال تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾(٢) . وقال ﷺ : «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(٣) .

٢) الدعاة هم المفلحون في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾(٤) .

٣) الدعاة أحسن الناس حديثا ، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى**

(١) صحيح البخاري .
(٢) آل عمران ١١٠ .
(٣) رواه البخارى .
(٤) آل عمران – ١٠٤ .

اللَّه ﴾[١] .

٤) أهل السماء والأرض يستغفرون لمن دعا إلى الله ، قال عليه أفضل الصلاة والسلام: «**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر ليصلون على معلم الناس الخير**» ، وصلاة الله على خلقه ثناء ورحمة ، وصلاة الملائكة والخلق دعاء واستغفار .

٥) الدعاة لا تنقطع أجورهم ، قال عليه الصلاة والسلام: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا**» .

٦) الدعاة لهم في هدايتهم لغيرهم ما هو خير من الدنيا وما فيها ، كما في قول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**لئن يهدي بك الله رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**»[٢] وفي رواية: «**خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت**» هذا في شأن هداية شخص واحد ، فكيف إذا كان سببا في هداية أسرة أو جماعة أو أمة بأسرها؟

إلى غير ذلك من الفضائل والمكرمات التي امتن الله بها على من دعا إلى سبيله .

وحيثما تحدثنا عن أهمية الدعوة إلى الله ووجوبها في حق المرأة وفضلها ، فمن المهم أن ألقي الضوء على بعض مجالات الدعوة وميادينها التي هي من مهام المرأة ومسؤوليتها[٣] .

فمن تلك المجالات:

أولا: قيامها بالدعوة داخل بيتها:

وأهم ذلك وأوجبه تربية الأولاد تربية إسلامية ، قال قتادة: (تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصيته ، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه) .

فالأم هي الداعية الأولى في البيت ، وهي في التأثير على الأبناء أقدر من الأب ، وذلك لاتصالها بهم منذ اللحظة الأولى من ولادتهم ، والأعرف بنفسياتهم وما يلائمهم ، ولأنها معهم أغلب الأوقات ، فهي تلاحظ ما يطرأ عليهم من التغيرات ، ومايقع منهم من أخطاء .

بالإضافة إلى أن اعتناء الأم الداعية بإصلاح بيتها وتربية أبنائها هو أسلوب مؤثر وفعّال من أساليب الدعوة بالقدوة ، والإشعار العملي للآخرين بإمكانية تكوين أسرة صالحة على

---

(١) فصلت: ٣٣ .

(٢) سنن الترمذي٢١١٧ .

(٣) أسماء بنت راشد الرويشد .

نهج السلف في زمن عمّت فيه الصوارف والفتن، ويتعذر فيه كثير من الآباء والأمهات بصعوبة تنشئة أبناء صالحين في هذا الزمان.

إن على الأم أن تعتني بتربية أبنائها على بعض الأمور الأساسية مثل:

١ـ بناء الأساس العقدي لديهم وتلقينهم كلمة التوحيد في سن مبكرة، وغرس محبة الله تعالى في قلوبهم وتربيتهم على مخافة الله، وكذلك محبة الرسول ﷺ ليقتدوا به في جميع أفعالهم وأقوالهم، ويتم ذلك بقراءة سيرته ﷺ عليهم.

٢ـ تعليمهم القرآن وتجويده وشرح بعض معانيه.

٣ـ تعليمهم واجبات الدين وشعائره كالوضوء والصلاة بأسلوب عملي.

٤ـ مناقشة بعض السلبيات والمخالفات الموجودة في المجتمع معهم.

٥ـ تعويدهم على حب القراءة، وإنشاء مكتبة إسلامية مقروءة ومسموعة.

٦ـ تربيتهم على حسن اختيار الأصدقاء، ومراقبتهم من بعد في ذلك.

٧ـ بناء الأساس الخلقي لديهم بحثهم على الاتصاف بالأخلاق الحميدة، وتحذيرهم من الصفات الذميمة مع مراعاة حسن الأسوة من قبل الأم.

ومن مجالات دعوة المرأة في البيت محاولة دعوة زوجها والتأثير عليه، ولكن الأمر قد يتطلب بعض المجاهدة وقد يطول أمد الاستجابة فيحتاج إلى صبر، فعلى الزوجة الداعية أن تكون صابرة محتسبة حكيمة في دعوة زوجها، سائلة الله له الهداية.

وفي المقابل فإن من مهام المرأة الدعوية مساندة الزوج الداعية وتشجيعه والتخفيف عنه، وأن تبث في نفسه الثبات على طريق الدعوة.

ومن مظاهر الدعوة إلى الله في البيوت: ممارسة المرأة الدعوة مع الخدم بدعوتهم لتصحيح العقيدة، وتحذيرهم من الشرك والبدع المنتشرة في كثير من البلاد الإسلامية، وتعليمهم أمور الدين المهمة كالطهارة والصلاة ونحوها. وقد تيسرت وسائل دعوة المسلمين غير الناطقين باللغة العربية، فقد انتشرت الكتب والأشرطة الإسلامية باللغات الأجنبية عن طريق مكاتب دعوة الجاليات التي ترعاها وزارة الشؤون الإسلامية.

ثانيا: قيامها بالدعوة خارج البيت:

فتسهم بالدعوة إلى الله في المجتمع الذي تعيش فيه، كدعوة القريبات وزميلات العمل، والصديقات والجارات، بتقديم النصح لهن بأسلوب مناسب يتفق مع آداب النصيحة

وبأسلوب محبب ولطيف . والاعتناء بتحسين العلاقة معهن والتعاون فيما بينهن لكسب قلوبهن للخير وقبول النصيحة .

وعليها استغلال الجلسات الأسرية في طرح مواضيع مفيدة تصلح للمناقشة ، وإقامة المسابقات الممتعة ، والاعتناء بتوزيع الأشرطة والمطويات والكتيبات التي تعني بمواضيع المرأة .

ولاتغفل دور المعلمة في ممارسة الدعوة مع طالباتها ، بل هو من أخصب وأهم مجالات الدعوة إلى الله وأرجاها لقبول الطالبة . فمن المعلوم أن تأثر الفتاة وخاصة في سن المراهقة بمعلمتها يكون أكثر من سواها ولا سيما إذا أحبتها .

فعليها أن تهتم بالأمور الآتية:

١ - عدم الاقتصار على المنهج الدراسي المحدد في الكتب ، بل عليها أن تربط العلم بالخالق جل وعلا ، خاصة وأن كثيرا من العلوم تكشف وتوضح عظمة الخالق وقدرته على خلقه ، مما يولد تعظيم الرب جل وعلا في نفوس الطالبات .

٢ - أن تكون المعلمة قدوة حسنة لطالباتها في التزامها بأوامر الشرع ، ومسارعتها لأداء الصلاة ، وفي مظاهر اللباس والحجاب والأخلاق وأهمها التواضع مما يؤدي إلى حب الطالبات لها وتقبلهن لما تنصح به .

٣ - التعرف على بعض مشاكلهن الخاصة ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة مع ربط قلوبهن بالله .

٤ - محاولة كسب قلوبهن بتقديم المساعدة لهن في مذاكرة الدروس وفهمها ، مما يسهل التأثير عليهن ونشر الدعوة بينهن .

٥ - أن تعلمهن مسائل الطهارة التي غالبا ما يعم الطالبات الجهل بها ، وتعليمهن كيفية الصلاة الصحيحة ، وبيان أهميتها وخطورة تأخيرها أو تركها .

وعلى المعلمة أن تهتم بدعوة زميلاتها في المهنة ، وحثهن على الإخلاص في العمل وإتقانه ، والتحدث معهن في أوقات الراحة في مواضيع تهم المرأة المسلمة .

وقد ضربت لنا أم شريك - رضي الله عنها - مثالا عمليا في الدعوة في أوساط النساء كما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - حيث قال: (وقع في قلب أم شريك - رضي الله عنها - الإسلام ، فأسلمت وهي بمكة ، وكانت تحت أبي العكر الدوسي ، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرا فتدعوهن وترغبهن في الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة ، فأخذوها

وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكنا سنردك إليهم) .

ومن مجالات الدعوة إلى الله في وسط النساء اصطفاء مجموعة من النساء لمدارسة بعض العلوم الشرعية وللتفقه في الدين ، وتخصيص هذا الأمر بالزمان والمكان ، حتى تعد الداعية نفسها وغيرها بالعلم والبصيرة في الدين لاسيما في المسائل التي عمت بها البلوى في أوساط النساء كالسفور والاختلاط والغيبة وغيرها .

ثالثا: ومن مجالات الدعوة إلى الله تعالى المناسبة للمرأة الدعوة بالتأليف والكتابة:

وعن طريق القصة الهادفة ونظم الشعر والمشاركات الصحفية في المجلات والصحف ، وألا تترك تلك المجالات للأقلام الهدامة والعابثة ، فعلى المرأة التي تحمل هم الدعوة وأن تعني بهذا الجانب الهام والخطير في الوقت نفسه ، والذي هو من أقوى عوامل التأثير الفكري

ومن المجالات الحديثة المناسبة لقيام المرأة بالدعوة إلى الله المشاركة عن طرق شبكة الإنترنت ، وهي تفتح باباً دعوياً عالمياً ومتيسراً في كل زمان ومكان

والآن وبعد ذلك لعلنا أخواتي المسلمات نشعر بأبعاد مسؤوليتنا في الإصلاح والتغيير ، ويتأكد لدينا واجب الدعوة في هذا العصر الذي عصفت بالناس فيه رياح الفتن وروّجت فيه الشبهات ، فأصبحت الدعوة واجبة على كل من حمل هذا الدين بصدق وإخلاص من الرجال والنساء ، والشيب والشباب ، كل يقوم بهذه المهمة على حسب حاله وطاقته ، وعلى حسب إيمانه وعلمه ، ومن ثم على حسب تحسسه لواقع المسلمين وأحوالهم .

التوصيات:

١) تقوى الله عز وجل ، وجعل القرآن والسنة النبوية المصدرين الرئيسين في تشريع جميع الأمور ، مع الرضا بذلك والتسليم له .

٢) أن تعي المرأة المسلمة أن الإسلام جاء بتكريمها ، وبين مساواتها بالرجل في أصل الخلق والتكوين ، وفرض لها حقوقا وواجبات ، مثل ما للرجل إلا فيما يختلفان فيه من الاستعداد والكفاية والقدرة مما هو مناط التكليف .

٣) على المرأة المسلمة أن تعي مسؤوليتها في القيام بالدعوة إلى الله تعالى بين الأهل والأقارب والجيران والزميلات ومن لها احتكاك بهن .

٤) على كل من رضت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا أن تعي أن المكان الصحيح لها والمهمة الدعوية الرئيسية هي في تربية الأولاد ورعاية شؤون البيت والزوج ، وأن تضبط خروجها بضابط المصلحة والحاجة .

٥) يجب أن يكون طلب المرأة للعلم وممارستها للعمل بالكيفية الملائمة لطبيعتها وغير المعارضة لتعاليم الشريعة وآدابها .

٦) الحذر من التعرض للخلوة أو الاختلاط أو السفور خلال قيام المرأة بطلب العلم أو العمل أو الدعوة إلى الله تعالى .

٧) يجب أن تكون مناهج تعليم البنات مناسبة لفطرتهن التي فطرهن الله عليها ، وأن تكون صالحة لتخريج جيل من ربات البيوت الصالحات والعاملات في المجالات الخاصة بالنساء .

٨) أن من فاتتها القدرة على الدعوة إلى الله فلا يفوتها الأجر في ذلك بمساندة ودعم أمور الدعوة بالنفقة والمال ، وبكفالة الدعاة وطباعة الكتب الإسلامية والمصاحف ودعم المراكز الإسلامية وغيرها .

٩) ضرورة التواصل بين الداعيات ومعايشة هموم الدعوة ، والتخطيط لحلها والتعاون مع الأخوات الداعيات في تبليغ الدعوة .

* * * * *

المبحث الرابع :
العلاقات الزوجية في المنهج الإسلامي

إن من نعم الله - تعالى - على عباده أن شرع لهم الزواج ليكون سنة محكمة من سنن الأنبياء والمرسلين من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله - ﷺ - وجعله سنة لأتباعهم إلى يوم القيامة قال - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ﴾[1] .

وفي القرآن الكريم ما يدل على أن نعمة الزواج نعمة عظيمة امتنّ الله بها على عباده كما قال - تعالى -: ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[2] .

وقال - تعالى -: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ

---

(١) الرعد ٣٨ .

(٢) النساء١ .

قَدِيراً﴾[١]، وقال - جل شأنه -: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[٢]، إلى غير ذلك من الآيات التي تلفت النظر إلى هذه النعم.

كما حثّ النبي على الزواج بأحاديث كثيرة منها قوله - عليه الصلاة والسلام -: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[٣]، عن أبي أيوب أن النبي ﷺ قال: «**أربع من سنن المرسلين؛ الحياء والتعطر، والنكاح، والسواك**»[٤] وقال ﷺ: «**مسكين مسكين رجل ليس له امرأة وإن كان كثير المال، مسكينة مسكينة امرأة ليس لها زوج وإن كانت كثيرة المال**» رواه الطبراني في الأوسط، وروى الحاكم في المستدرك عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي**» والأحاديث في ذلك كثيرة جداً.

قال ابن عثيمين - رحمه الله -: النكاح باعتبار ذاته مشروع، مؤكد في حق كل ذي شهوة قادر عليه، وهو من سنن المرسلين.

وأضاف قائلاً: وقد تزوج النبي - ﷺ - وقال: «**إني أتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**» متفق عليه، ولذلك قال بعض العلماء: إن التزوج مع الشهوة أفضل من نوافل العبادة، لما يترتب عليه من المصالح الكثيرة والآثار الحميدة، وقد يكون النكاح واجباً في بعض الأحيان كما إذا كان الرجل قوي الشهوة ويخاف على نفسه من المحرم إن لم يتزوج، فهنا يجب عليه أن يتزوج لإعفاف نفسه وكفها عن الحرام[٥].

* * * * *

(١) الفرقان٥٤.
(٢) النحل٧٢.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه الترمذي وأحمد والبيهقي.
(٥) دكتور/ إبراهيم بن حمد النقيثان.

المطلب الأول:
من حكم الزواج

للزواج حكم وفوائد شتى منها:

١- تطبيق السنة، قال - عليه الصلاة والسلام: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**» متفق عليه.

٢- حفظ كل من الزوجين وصيانته، قال - عليه الصلاة والسلام - «**فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**» متفق عليه.

٣- أنه ملائم للفطرة الإنسانية ويوافقها وينسجم معها.

٤- حفظ المجتمع من الشرور وتحلل الأخلاق وانتشار الرذائل.

٥- بقاء النوع الإنساني على وجه سليم.

٦- استمتاع كل من الزوجين بالآخر بما يجب له من حقوق وعشرة، الرجل يكفل المرأة ويقوم بنفقاتها، والمرأة تكفل الرجل بالقيام بما يلزمها في البيت من رعاية وإصلاح.

٧- طلب الولد وتكثير سواد المسلمين.

٨- تدريب الذات على تحمل المسؤولية والقيام بشؤون الطرف الآخر وشؤون الأولاد والرحم.

٩- إتاحة الفرصة للزوج أو الزوجة أن يشعر أنه محبوب كما يُحبُ في الوقت نفسه.

١٠- الشعور بالنوع فالزواج يحقق إشباعاً اجتماعياً يورث توازناً في الشخصية، فالإنسان لايستطيع أن يعيش في عزلة عن الآخرين.

١١- النمو النفسي السليم بإشباع الدافع الجنسي في مجال ما أباحه الله، مما يعود على الذات بالطمأنينة والراحة النفسية.

١٢- يخلص الإنسان من التصرفات الرعناء والانحرافات السلوكية والانفعالية.

١٣- إشباع دافع الأمومة والأبوة لكل الزوجين.

١٤- تحقيق إثبات الذات من خلال الحياة الزوجية السعيدة.

١٥- ما يثمره الزواج من ترابط الأسرة والعائلات والقبائل وتوطيد أواصر المحبة.

* * * * *

obeikandl.com

المطلب الثاني:
الكفاءة في الزواج

يقصد بالكفاءة: المساواة والمماثلة، والكفء: المثيل والنظير، والمقصود أن يكون الزوج كفؤاً لزوجته، أي مساوياً لها في المنزلة والمركز الاجتماعي وغيره، وكلما كانت منزلة الرجل مساوية لمنزلة المرأة، ربما كان ذلك أدعى لنجاح الحياة الزوجية.

هذه الكفاءة ما موقف العلماء منها، فبعضهم - كابن حزم - ذهب إلى عدم اعتبار الكفاءة، فيرى أن أي مسلم مهما - مالم يكن زانياً - فله الحق في أن يتزوج أي مسلمة ما لم تكن زانية.

فلا اعتبار للنسب والحسب فقد زوج النبي - ﷺ - القرشية زينب بنت جحش مولاه زيداً، وزوج المقداد بن عمرو ضباعة، وذهب جماعة من العلماء إلى خلاف ماذهب إليه ابن حزم حيث اعتبروا أن الكفاءة معتبرة، ولكن اعتبارها بالاستقامة والخلق خاصة، فلا اعتبار لنسب ولا صناعة ولا حرفة أو غنى أو نحو ذلك. وذهب آخرون إلى أن الكفاءة أعم من الصلاح والخلق لتشمل النسب والمال والسلامة من العيوب.

* * * * *

المطلب الثالث:
الحقوق الزوجية

- هناك حقوق مشتركة بين الزوجين، وهناك حقوق للرجل وهناك حقوق للمرأة، فمن الحقوق المشتركة بين الزوجين:
- استمتاع كل من الزوجين بالآخر وثبوت التوارث بينهما بمجرد العقد.
- المعاشرة بالمعروف كي يسودهما الوئام ويظلهما السلام.
- أما حقوق الزوجة فمنها:
- حقوق مالية كالمهر والنفقة وحقوق غير مالية كالعدل بين الزوجات إن كان متزوجاً بأكثر من واحدة وعدم الإضرار بالزوجة.
- إكرامها واحترامها ومعاملتها بالمعروف وحسن الخلق معها والتزين لها وإظهار جانب اللين والرقة والتواد والقيام على شؤونها.

أما حقوق الزوج فمنها:

- طاعة الزوج في المعروف وحسن التبعل للزوج وخدمته وحفظه في نفسه وبيته وماله

وولده والتزين للزوج وإظهار المودة والمحبة والقرار بالبيت .

عندما يعرف كل من الزوجين حقوق كل منهما على الآخر ، فهذه علاقة صحيحة في سبيل السعادة الزوجية ، ولكن ليس الأمر بالمقايضة ، فإذا وصلت الحال إلى هذا المستوى فهو نذير ببدء المشكلات الأسرية ، ولكن الأمر يحتاج إلى تنازل من الطرفين لكي تدوم العشرة ، أما إذا تمسك كل من الطرفين بحقه فستحصل المشكلات ويتكدر العيش .

قال أبو الدرداء - رضي الله عنه - لزوجه: إذا رأيتني غضبت فرضني ، وإذا رضيتك غضبى رضيتك ، وإلا لم نصطحب .

وأوصى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ابنته فقال:

إياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق ، وإياك وكثرة العتب ، فإنه يورث البغضاء ، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة ، وأطيب الطيب الماء .

ولعل من أبرز الوصايا ما أوصت به أمامة بنت الحارث ابنتها أم إياس بنت عوف بن ملجم الشيباني لما زفّت إلى عمرو بن حجر ملك كندة ، وهي وصية عظيمة اشتملت على مقدمة عن الزواج والحياة الجديدة وعشر وصايا ذهبية ، حيث قالت:

أي بنية: إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت لك ، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليهما ، كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلفتِ العيش الذي فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه ، فأصبح عليك رقيباً ومليكا فكوني له أمة يكن لك عبداً .

واحفظي له خصالاً عشرا يكن لك ذخرا:

أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله ، والادعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمرا ، ولا تفشين له سرا ، فإنك إن خالفت

أمره أوغرت صدره وإن أفشيت سره لم تأمني غدره .

ثم إياك والفرح بين يديه ، إذا كان مهتما ، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً ، فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير ، وكوني أشد ما تكونين له موافقة واعلمي أنك لا تصلين على ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله يخير لك .

فلما تزوجها عظمت عنده وولدت الملوك السبعة الذين ملكوا اليمن بعده .

أمور تراعى عند الزواج وبعده:

١ – الدين: ونقصد به مستوى تدين الزوج أو الزوجة ، فلا ينبغي أن يذهل عنه الخاطب او المخطوبة ، قال رسول الله – ﷺ –: «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**»[١] ، وقال أيضاً: «**من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي**»[٢] ، وقال – عليه الصلاة والسلام –: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[٣] .

وقد يقول الخاطب أو المخطوبة: بعد الزواج سأدعوه إلى التوبة والالتزام ، وهذا هدف نبيل ، ولكن قد يحدث العكس فقد يسحب ضعيف الإيمان التقي إلى مستواه ، وقد يحدث العكس ، ولكن الأولى الحرص على ذى الدين وذات الدين .

٢ – الحسب والنسب: وقد عدّه بعض الفقهاء من الكفاءة لكن الإسلام لا يعوّل على ذلك فقد زوج النبي – ﷺ – ابنة عمه زينب بنت جحش مولاه زيداً ، وغيره من الصحابة فعل ذلك ، والإسلام يفاضل بالتقوى فقط ، ولكن نظراً لتفشي ظاهرة الاعتداد بالحسب والنسب في بعض المجتمعات الإسلامية ، فتراعى مثل هذه الأعراف ، لا لكونها ديناً كلا لكن لما ينشأ من تخطيها من المشكلات الاجتماعية والنفسية الشيء الكثير خاصة في بعض البيئات فقد وصل إلى القتل أو التهديد به والنبذ الاجتماعي ونحوه ، فمراعاة لمثل هذا على الشاب والشابة ألا يتجاوز مثل هذه الأعراف .

٣ – الجمال وحسن الخلقة: الجمال عنصر لم يغفله الإسلام والإنسان بطبعه يعشق الجمال وهو نسبي يختلف في معاييره من فرد لآخر وقد قال – عليه السلام –: «**خير النساء**

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الطبراني والحاكم .
(٣) رواه البخاري ومسلم .

من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك...»[١]، وقال - عليه الصلاة والسلام: للمغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - حين خطب امرأة: «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**»[٢]، ولكن لا ينبغي أن نغلّب جانب الجمال على الدين والخلق، فإن روعة وقتية، بعد فترة تصبح عادية، ولذا لا يعوّل عليه كثيراً، إذ نسمع الشباب يركزون عليه وكذلك الشابات وما ذاك إلا تأثرا بالحضارة الغربية التي تقدس الجسد، وغاية الزواج الاستمتاع بالجسد فغزت تلك النظرة وهذا التوجه مجتمعات المسلمين فصار يأتي بالمقام الأول معيار الجمال للأسف.

٤- **السن**: التقارب في السن مما يعين على دوام العشرة وبقاء الألفة، فليس من المستحسن أن يكون الفارق السني كبيراً بين الزوجين، ولا يعني ذلك فشل الزواج، بل هناك حالات كثيرة ناجحة، رغم التفاوت الكبير في ذلك لكن التقارب العمري يجعل التفاهم والانسجام أحرى، ولنا في زواج رسول الله - ﷺ - قدوة فقد كان بينه وبين أم المؤمنين خديجة خمس عشرة سنة وكانت من أحب نسائه إليه.

٥- **المستوى الاجتماعي والاقتصادي**: إن التقارب في هذا مما يدعم العشرة الحسنة بين الزوجين وبين أسرتيهما، ولكن حين يكون أحدهم أعلى مرتبة من الآخر في الجانب المادي فقد يؤدي ذلك إلى تفاوت في الاهتمامات والتصرفات ويؤدي إلى تباعد بين أسرتي الزوجين وخاصة من جانب النساء، فتحدث القطيعة مما قد ينعكس سلباً على الزوجين.

٦- **المستوى الثقافي**: يفضل أن يكون مستوى الخاطبين متقارباً كي تسير عجلة الحياة الزوجية في تفاهم وتقدير، ومشاركة الطرف الآخر للطرف الآخر في الاهتمامات والميول والاطلاع وحسن النقاش والحوار.

المشكلات الأسرية:

الإنسان يسعى لتحصيل السعادة عموماً والسعادة الزوجية خصوصاً، والمشكلات بين الزوجين أو مع الأولاد هي ما يحصل كثيراً ولعل ذلك مما يبتلى به المرء ذكراً كان أم أنثى، ولعله مما يكفر به السيئات وتعلى به الدرجات، قال - تعالى -: ﴿ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾[٣]، وقال - سبحانه -: ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ

(١) رواه النسائي.
(٢) رواه النسائي والترمذي وابن ماجه.
(٣) النساء: ١٩.

لَكُمْ ﴾[١] . ، وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**مايصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**»[٢]، وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة أو حطّ عنه بها خطيئة**»[٣].

الحياة الأسرية لا تسلم من منغصات ولو سلم منها بيت لسلم منها بيت خير الخلق - ﷺ -، ثم إن الحياة المثالية الخالية من الصعوبات والمشكلات لا توجد إلا في عقول المراهقين والمراهقات والحالمين والحالمات، وفي الروايات والقصص والمسرحيات، بل لو افترضنا أن أسرة عاشت سنوات دون هذه المنغصات لملّ أصحابها منها، ولكن غضب ورضا، خطأ وغفران، خطأ وتسامح، عتب ومسامحة، زعل ورضا، لوم وإقرار بالخطأ . . . إلخ، بهذا تسير الحياة بصورة طبيعية، فابن آدم خطاء ولا معصوم إلا من عصمه الله، قال - عليه الصلاة والسلام -: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»[٤].

نخلص مما سبق أن المشكلات بين الزوجين أو مع الأبناء من الأمور المتوقعة في مسيرة الحياة، كما أن الإنسان مأجور عليها حين الصبر والاحتساب، ولا يعني هذا إهمال البحث عن العلاج والحلول . . كلا ولكن القصد التنبيه لبعض الأخوة والأخوات إلى أن وجود مثل هذه الأمور لا يعني انتفاء السعادة من الحياة الزوجية أو انعدام الحل ولكن ليوطد الإنسان نفسه لمثل هذه الأمور .

ونعرض فيما يلي بعض التوجيهات لحصر المشكلات في أضيق نطاق ولعلاجها داخلياً ما أمكن ذلك:

١- أخي . . أختي راجعوا أنفسكم فما وقع بلاء إلا بذنب، فتفقدوا أحوالكم وأصلحوا ما بينكم وبين خالقكم جل شأنه تصلح لكم أموركم .

٢- العمل على محاولة تضييق المشكلة وحصرها في أقل ما يمكن .

٣- عدم إفشاء السر سواءً لأهل الزوجة من قبل البنت أو لأهل الزوج من قبل الزوج، أو لغيرهم من الأصدقاء والصديقات وزملاء العمل وزميلات العمل .

---

(١) البقرة: ٢١٦ .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه .

٤- عدم تمسك كل فرد برأيه والإصرار على اعتراف الطرف الآخر بالخطأ، فهذا الأمر يوصل لطريق مسدود.

٥- محاولة أحد الزوجين امتصاص غضب الآخر وعدم زيادة استفزازه.

٦- معالجة المشكلة أولاً بأول وعدم التهرب منها، فالتهرب والإرجاء في حلها قد يعقّد المشكلة.

٧- حين يصل أطراف المشكلة إلى طريق مسدود، فحينئذ يمكن الاسترشاد بالوسطاء من أهل العقل والتجربة أو الاختصاص كمراكز الاستشارات العائلية والزواجية.

٨- عدم إثارة مشكلة سابقة والاستدلال بها على خطأ الطرف الآخر ونحو ذلك ن فهذا مما يزيد الطين بلّة.

٩- لا بأس بالتنازل للطرف الآخر ولوكان هذا المتنازل هو صاحب الحق لكي تستمر عجلة الحياة الأسرية.

١٠- مع وجود مثل هذه المشكلات فلا يفتقد أطراف المشكلة المعاملة بالمعروف واحترام الآخر.

١١- البعد عن محاولة الانتصار للذات.

١٢- محاولة اقتناص وقت مناسب لأطراف المشكلة لمناقشتها وإيجاد الحلول لذلك.

١٣- الحرص على ضبط النفس والاتزان حين الاستفزاز من قبل الطرف الآخر.

١٤- مما يقلل المشكلات هو عدم السماح للغير - خاصة الأقربين - بالتدخل في الحياة الزوجية لأنها لا تسلم من الانحياز لأحد الطرفين.

تلك أبرز النقاط التي أحببت إلقاء الضوء عليها داعياً الله أن يجمع الزوجين على الطاعة وأن يرزقهم الذرية الصالحة وأن يعم الجميع بالسعادة في الدنيا والآخرة.

أختي المسلمة..

* اعلمي أن من سنة النبي ﷺ الزواج. ولذلك قال: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

* ولذلك إياك ثم إياك من العزوف عن الزواج بحجة الدراسة أو الشهادة أو العمل.

* واحرصي على من يتقدم لك من أهل الدين والخلق الحسن. وكما قيل: فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يهنها.

* والنكاح المبارك هو الذي لا كلفة فيه فوق طاقة الزوج . «**أكثر النساء بركة أقلهن مؤنة**» .

* يا مكنونة الإحسان: قال ﷺ : «**تنكح المرأة لأربع، لجمالها ولحسبها، ولمالها ولدينها.. فاظفر بذات الدين تربت يداك**» .

فهل أنت ملتزمة بالدين؟!

* أيتها الفتاة الصالحة . . قال ﷺ : «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**» .

* احذري من دبلة الخطوبة فإنها من عادة النصارى .

* كوني حريصة على حفلة زفاف إسلامية خالية من المنكرات مثل:

- النصة (الكوشة) وهى صعود العريس مع العروس أمام النساء .

- التعاقد مع المغنيات والمطربات أو المطربين بالنسبة للرجال . . لأن ذلك حرام وضياع للأموال .

- وضع أشرطة الغناء عبر مكبرات الصوت ولربما الرقص معها من قبل الفتيات .

- التصوير الفوتوغرافي أو بالفيديو لمحذورات شرعية كثيرة .

- الذهاب إلى الكوافيرات لما في ذلك من المنكرات والمحذورات الشرعية .

- التغالي بملابس ليلة الزفاف والإسراف فيها .

- السهر في ليلة الزفاف حتى ساعات الفجر الأولى .

واسمعي إلى هذه الوصية:

قالت أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس بنت عوف ليلة زفافها:

" أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت وخلفت العش الذي فيه درجت .

ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه . . ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال!

أي بنية! إنك فارقت الجو الذي منه خرجت وخلفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا ، فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا ، واحفظي له خصالا عشرا تكن لك ذخرا . .

أما الأولى والثانية، فالخضوع له بالقناعة ، وحسن السمع والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة، فالتفقد لمواضع عينه وأنفه ، لا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأمـا الخامسة والسادسة، فالتفقد لـوقت نومه وطعامه، فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة!

وأما السابعة والثامنة، فـالاحتراس بماله والارعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة، فـلا تعـصين لـه أمرا، ولا تفشين لـه سرا فإنك إن خالفت أمـره أوغـرت صـدره، وإن أفـشيت سـره لم تـأمني غـدره ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغتما، والكآبة بين يديه إن كان فرحا[1]! . . . أهـ.

س: مـا حكـم حـضور المـرأة حفلات الزواج وأعياد الميلاد مع أنها بدعة، وكل بدعة ضـلالة، كمـا يوجد بالحفلات المذكورة بعض المطربات لقضاء السهرة، وهل حضور المرأة فيها حرام لمشاهدة العروس وتقديرا لأهل العروسة لا لسماع المطربة؟

ج: إذا كانـت حفـلات الـزواج خالية من المنكرات، كاختلاط الرجال بالنساء والغناء المـاجن أو كانـت إذا حـضرت غـيرت مـا فـيها من منكرات جاز لها أن تحضر للمشاركة في الـسرور، بل الحضور واجب إن كان هناك منكر تقوى على إزالته، أما إن كان في الحفلات منكـرات لا تقـوى علـى إنكارهـا فيحـرم علـيها أن تحضر لعموم فوله تعالى: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ ﴾[2].

وقـولـه تعـالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[3].

والأحاديـث الواردة في ذم الغناء والمعازف كثيرة جداً. وأما الموالد فلا يجوز لمسلم ولا مـسلمة حـضورها لكـونها بدعـة إلا إذا كـان حـضوره إلـيها لإنكارهـا وبـيان حكـم الله فيها..[4].

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

* * * * *

(١) تحفة العروس: ٩١.

(٢) سورة الأنعام: ٧٠.

(٣) سورة لقمان: ٦.

(٤) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم ١٩٣٨ - في ٢٤/ ٥/ ١٣٩٨هـ.

المطلب الرابع:
عندما يتنازل الرجل عن قوامته

إن قوامة الرجل على المرأة حق تكليفي وتشريفي أيضاً لا مناص منه، ولا يمكن للرجل أن يتنازل عنه؛ لأن القوامة مسؤولية تنتظم بها شؤون الأسرة، فمن خلالها تحدد المسؤوليات، وتوزع الواجبات، ويعرف كل فرد في الأسرة مكانه ودوره.

كما أن لكل سفينة قبطاناً يقودها فلا بد لكل أسرة قواماً أو قيماً يدبر أمرها ويشرف عليها، وإلا عمت الفوضى وظهر الاضطراب، كما هو واقع الأسر في الدول التي ساوت بين المرأة والرجل في كل شيء.

وقوامة الرجل على أهله ليست قوامة تعسف وتجبر وتكبر؛ بل هي قوامة رحمة وعدالة؛ إذ أن من أهم الواجبات المترتبة على هذه القوامة رعايتهم وتوجيههم وإعفافهم وحمايتهم من كل شر وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾[1].

وكم هو مزر أن تضعف قوامة الرجل على أهل بيته إلى درجة أنه لا يستطيع أمرهم بمعروف ونهيهم عن منكر، ولكن أسوأ من ذلك أن يتنازل هو عن قوامته.

ولقد رأيت صوراً مزرية عديدة تدل على المفاسد العظيمة الناتجة من ضعف قوامة الرجل أو تلاشيها، ولعلي أنقل هاتين الصورتين - على سبيل المثال - واللتين تعكسان شيئاً من هذه المفاسد:

دخلت الزوجة محلاً لبيع "الحلويات" وتبعها زوجها.. كشفت الزوجة شيئاً من حجابها وكأنها دخلت بيتها... فما حرك الزوج شفتيه بكلمة يأمرها بالاحتشام والاحتجاب؛ بل ظل واقفاً خلفها يحمل طفلاً ويمسك بيده الأخرى طفلاً آخر.. أخذت الزوجة تجادل البائع في سعر البضاعة وتماكسه.. فارتفعت منها قهقهة لفتت أنظار الرجال الذين اكتظ بهم المحل، والزوج "المصون" قد وقف خلفها كأن الأمر لا يعنيه... وبعد جدال طويل بينها وبين البائع اقتنعت أخيراً بالسعر فاشترت البضاعة.. وذهبت لكي تحاسب.. أخرجت من حقيبتها أوراقاً نقدية دفعتها للمحاسب وخرجت.. والزوج يتبعها.

أما الصورة الثانية فتبدأ عند باب المنزل حيث خرجت تاركة زوجها في فراشه نائماً فقد تأخرت عن موعدها، وكان السائق في انتظارها عند الباب.

---

(١) الحجرات: ٢٦.

الزوجة للسائق: إلى السوق بسرعة . . . أدار السائق مفتاح السيارة واتجه حيث أمرته سيدته . . وقبيل المغرب استيقظ الزوج من نومه فنادى الخادمة قائلاً: سيري أين "ماما"؟ فأجابت سيري "ماما يروح للسوق" .

لبس الزوج ملابسه دون اكتراث لخروج زوجته دون إذنه وعلمه ، فقد اعتاد على ذلك ؛ بل هو الذي عودها عليه يوم أن تنازل عن حقه في قوامته عليها . .

إنه ينبغي للرجل والمرأة أن لا يرضيا بهذا الحال ، أما الرجل فلأن المرأة عرضه وشرفه فأين دينه؟ وأين رجولته وشهامته؟ وقد ترك لزوجته الحبل على غاربه ، وفتح لها الأبواب التي تصفر فيها رياح الشهوات الآثمة والنزوات الفاجرة .

وأما المرأة فلأن الرجل حاميها وراعيها ، فأين محبته لها؟ وغيرته عليها؟ وأين اهتمامه بها؟ وأين دفاعه عنها؟ وقد تركها تكشف زينتها للرجال ، وتضاحكهم وتمازحهم ، كأنه لا يعنيه أمرها ، ولا يهمه حفظها .

* * * * *

المطلب الخامس:
الزواج أحكام وعقبات

حديثنا هذا يتناول تشريعاً ربانياً حكيماً وسنةً من سنن المرسلين وآيةً من آيات الحكيم الخبير .

إنه الزواج . . . وما أدراك ما الزواج .

إنه من آيات الله تعالى الدالة عليه ، فبه تحصل المودة والمحبة والرحمة: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] وبه دوام النسل واستمرار الحياة ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾[2] . وهو سنة الأنبياء والمرسلين: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ﴾[3] .

إنّ الزواج أمرٌ تقتضيه الفطرة ، وتحث عليه الشرائع ، فبه تكوين الأسر ، وتربية الأبناء ، وقضاء الأوطار في الحلال ، وفيه راحةٌ وسكينةٌ للنفس ، وفيه رحمة وألفة ، وفيه تحصيل

---

(١) الروم: ٢١ .
(٢) النساء: ١ .
(٣) الرعد: ٣٨ .

للأجر العظيم، وهو ضرورة لدوام الحياة واستمراريتها، وهو من أسس إقامة أوثق العلاقات الاجتماعية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾[١].

إضافة إلى ما سبق من الآيات القرآنية فقد جاء الثناء على الزواج والأمر به في السنة النبوية، ففي الحديث الصحيح: عَنْ عَبْدُ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ رضى الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَبَابًا لا نَجِدُ شَيْئًا فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ منكم الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[٢] كما أرشد النبي ﷺ لمعايير اختيار الزوجين، وبيّن أن الاعتبار والمقياس في المقام الأول إنما هو لمسألة الدين والخلق، فقد قال عليه السلام: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»[٣] إذن فالدين والخُلُق مقدمان على الأنساب والأموال والجمال.

ومما أرشد ﷺ وحثّ عليه، أن يتزوج المسلم من الودود الولود ففي الحديث: عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ وَإِنَّهَا لا تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ قَالَ: «لاَ»، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ**»[٤].

وتعرف الولود بالنظر إلى أسرتها. وأمّا الودود فهو إشارة إلى الحنان والعطف وحسن العشرة.

وقال ﷺ: «**الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**»[٥].

ومع حثّ الشرع على اختيار الزوجين وفقاً للمعايير المذكورة، فلا مانع من النظر إلى الاعتبارات الأخرى التي تعين على بناء الزوجية كالجمال، وتقارب الطباع، وتقارب الأعمار والأنساب.

لقد حثّ عليه الصلاة والسلام على اختيار الأسر الكريمة الصالحة فقال عليه السلام:

---

(١) الحجرات: ١٣.
(٢) رواه البخاري رقم(٤٦٧٨) ومسلم (٤٢٨٥).
(٣) رواه البخاري (٤٧٠٠) ومسلم (٢٦٦١).
(٤) روه أبو داود (١٧٥٤).
(٥) رواه مسلم (٢٦٦٨).

«تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ وَانْكِحُوا الأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ»[١] .

إنّ على أولياء البنات اختيار الزوج الصالح ، وقبوله إذا تقدم لخطبة أحد كرياماته ، فإنّ أول اعتبار في الشرع إنما هو للدين والخلق . وقد قال ﷺ : «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ قَالَ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ» ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[٢] . واللفظ له .

ومما يجدر التنبيه إليه أن مقصود الزواج في الإسلام هو إنشاء الأسرة الصالحة وبقاء الزوجية ، لذا حُرِّمَ زواج المتعة وأمثاله .

إنّ كثيراً من الزيجات المبنية على الشهوة فحسب ، لا يحالفها النجاح بل يكتب لها الفشل ، ومثال ذلك: الزواج مع تباعد الأعمار ، أو الزواج من خارج الديار والأوطان من أجل معيار الجمال فحسب .

وليت الأمر يقتصر على فشل الزواج فحسب ، لكن الأمر يتجاوز ذلك فتزداد المصيبة إذا ماكان الزوج قد أنجب ذرية ثم فشلت الحياة الزوجية ، وهو ما يحصل غالباً كما دلت عليه الإحصائيات نتيجة لتباين الطبائع واختلاف العادات .

إنّ أمثال هذه الزيجات الفاشلة قد يترتب عليها أن ينشأ الأولاد بعيداً عن أحد والديهم .

إذن فالأولى أن يتزوج المرء من نفس مجتمعه .

إن البعض - للأسف - لا يهتم بمعيار الدين والخلق عند تزويج بناته ، وهذا يترتب عليه فساد كبير . وكذلك الحال بالنسبة للرجال ممن ينوي الزواج فبعضهم لا يفكر إلا في الجمال متناسياً ما يجب أن تكون عليه أمُّ أولاده من استمساك بالدين وحسن الأخلاق .

وللأسف فإن بعض الآباء يمنع الأكفاء ذوي الدين والخلق طمعاً في أصحاب الأموال ، فربما زوج بعض بناته بكبار السن ، وهو أمر قد لا تحصل معه الألفة والمودة بين الزوجين .

إنّ هذا الصنف من أولياء الأمور إضافة لكونه أجحف في حق ابنته فإنه قد خان الأمانة لأنه ردّ الأكفاء من أصحب الخلق والدين بسبب طمعه في المال . وقد نبه النبي ﷺ على هذا الاعتبار فإنه لما خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه فاطمة رضي الله عنها قال عليه السلام إنّها صغيرة ، فلما خطبها عمر رضي الله عنه قال: إنها صغيرة ، فلما خطبها علي

---

(١) ابن ماجة ١٩٥٨ .

(٢) رواه الترمذي ١٠٠٥ وابن ماجة ١٩٥٧ .

رضي الله عنه وكان مقارباً لها زوجه إياها . ففي الخبر: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَاطِمَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**إِنَّهَا صَغِيرَةٌ**» فَخَطَبَهَا عَلِيٌّ فَزَوَّجَهَا مِنْهُ[١] إنّ ظاهرةَ العنوسة وتأخر الزواج وما ينتج عنها من أخطار إنّما نتجت بفعل أسباب من صنع أنفسنا ، فإننا نرى بعض الشباب يؤخر الزواج سنوات وسنوات وهي معدودة من عمره ، وما ذاك إلا لأنه يواجه شروطاً تعجيزية عندما يهم باختيار الزوجة أو أنه يؤخر هذا الأمر من أجل تجميع الأموال ، مع قدرته على الزواج: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنكم الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ**»[٢] إنها وصية سيد المرسلين .

تزوجوا أيها الشباب وأبشروا بعون الله تعالى ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ**»[٣] .

ومن أسباب العنوسة تأخير زواج البنات بحجة مواصلة الدراسة ، ولهذا نرى بعض أولياء أمور البنات يكثر من رد الأكفاء ، وهو لايدري أنه بذلك يجني عليها .

إنّ الزواج أهم من الدراسة وأضف لهذا أنه لا يعيقها .

و للأسف فإنّ البعض الآخر – وهم بحمد الله قلة – يرد الأكفاء طمعاً في راتب ابنته إذا كانت عاملة في وظيفة ، وهذا والله لؤم في الطبع ، وخيانة للأمانة .

ألم يسمع هؤلاء ما قالته أولئك الفتيات اللائي حرمن الزواج بفعل هذه التصرفات؟

ألم يروا ما سطرنه بدموعهن من جراء خيانة آبائهن؟

وكل هذا يحدث بفعل الأخلاق الرديئة المتمثلة في الجشع والطمع ، الذي يقود هؤلاء الآباء ليجعلوا بناتهم وسيلة للاتجار وسلعة للكسب .

إنّ العبرة من الولاية مراعاة مصلحة المرأة لا مصلحة وليها ، وإنّ العبرة في التزويج أن يتم برضاء المرأة ، إذا تقدم لخطبتها كفءٌ من أصحاب الدين والخُلُق ، وإنما كانت الولاية لمراعاة ذلك .

يقول سبحانه وتعالى محرماً عضل المرأة وهو عدم تزويجها: ﴿ **فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ**

---

(١) رواه النسائي (٣١٦٩) .

(٢) رواه البخاري رقم(٤٦٧٨) ومسلم (٤٢٨٥) .

(٣) راوه الترمذي (١٥٧٩) .

أَزْوَاجَهُـنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[١] . فكما أنه يمنع حبسها ومنعها من الزواج ممن تريد فكذلك لا يجوز إجبارها على الزواج ممن لا تريد ، فكيف وقد جاءت امرأة لرسول الله تشتكي أن أباها زوجها وهي كارهة فرد عليه الصلاة والسلام نكاحها ، فعن عائشة: أَنَّ فَتَاةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَقَالَتْ إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ لِيَرْفَعَ بِي خَسِيسَتَهُ وَأَنَا كَارِهَةٌ قَالَتْ اجْلِسِي حَتَّى يَأْتِيَ النَّبِيُّ ﷺ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِيهَا فَدَعَاهُ فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ النِّسَاءِ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ[٢]؟ أيها الآباء اعملوا بالنصيحة النبوية: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**» ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣] .

تزوجوا أيها الشباب ؛ وزوجوا أيها الآباء ؛ واهتموا بأمر الدين والأخلاق ، ولاتؤخروا هذا الأمر رغبة في الكمال والتعلق بالأوهام ، فإنه لأمر مؤسف أن يصل سن الشباب إلى الثلاثين وأكثر دون زواج .

إنّ العنوسة وعزوف بعض الشباب عن الزواج له مضاره الخطيرة وآثاره الوخيمة سواء من الناحية النفسية أو الاجتماعية أو الأخلاقية ، فتأخير الزواج قد يفتح باباً عظيماً من الفتن والفساد ، أمّا تعجيل الزواج ففيه حصول الراحة والاستقرار: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤] إنّ هناك معوقات تقف في طريق الامتثال لهذا الأمر العظيم الذي أمر الله به ورسوله . مما صدّ كثيراً من الشباب عن الزواج وحمّل البعض الآخر جبالاً من الديون والهموم . فقد أصبح بعض الآباء والأمهات يشترطون شروطاً ثقيلة على من تقدم خاطباً لابنتهم ، ومن أقرب الأمثلة على ذلك المغالاة في المهور .

نعم إنّ المهر دلالة على صدق النية في الاقتران ، ودليل على الكفاءة لتحمل المسئولية وهو برهان على صدق الرغبة في الزواج ، وإضافة لذلك فهو أمر أوجبه الإسلام: ﴿ وَآتُوا

---

(١) البقرة: ٢٣٢ .
(٢) رواه النسائي ٣٢١٧ .
(٣) النور: ٣٢ .
(٤) الروم: ٢١ .

النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾[١] .

إنّ المهر بكل تأكيد ليس ثمناً للمرأة ، ولا يمكن أن يمثل إهانة لها إذ أنها ليست سلعة تباع وتشترى ، فهو عطية افترضها الله سبحانه وتعالى ، وقد جعل حق التصرف فيها راجعاً للمرأة ، وليس لوليها .

إنّ الإسلام لم يحدد قيمة للمهر وإنّما ترك الأمر لاختلاف المستويات والتفاوت في الاستطاعة بين الناس ، ولما رأى عمر رضي الله عنه مبالغة الناس في هذه الأمر ومخالفتهم لسنة النبي ﷺ القائمة على التيسير ورفع الحرج ، أراد تحديد قيمة المهور فأعلن ذلك في الخُطبة ، ولكن عزمه توقف لما نبهته إحدى النساء وذكرته بآية من كتاب الله العزيز ، فعن أبي عبد الرحمن السلمى قال: قال عمر بن الخطاب: لا تغالوا في مهور النساء . فقالت امرأة ليس ذلك لك يا عمر ؛ إن الله يقول: ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً مِنْ ذَهَبٍ ﴾ قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله ﴿ فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً ﴾ فقال عمر: إنّ امرأة خاصمت عمر فخصمته[٢] . ومع أنّ هذا الدليل القرآني يدل على عدم تحديد حدّ معين للمهر وأنّه أمر منوط بقدرة الرجل وما عنده من سعة أو ضيق ، فإنّ كثرة المهر لا تُعدُّ كرامةً للمرأة وكذلك فإنّ قلته لا تشكل إهانة لها ، فالأمر ليس كما يظن بعض أصحاب الأفهام القاصرة .

فمن كان ميسوراً فأعطى وأغدق في عطائه فهو مثابٌ ، ومن كان معسراً فلا يجوز التشديد عليه ، فإنّ الاتجاه العام في الشريعة يقضي بتيسير الأمور لا سيما على من لم يستطع ، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ امْرَأَةً عَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لَه رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ زَوِّجْنِيهَا ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ؟» قَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ ، قَالَ: «اذْهَبْ فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ» ، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا وَلَا خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي وَلَهَا نِصْفُهُ ، قَالَ سَهْلٌ: وَمَا لَه رِدَاءٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «وَمَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ؟ إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ» ، فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى إِذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَعَاهُ أَوْ دُعِيَ لَه فَقَالَ لَه: «مَاذَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ؟» فَقَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا لِسُوَرٍ يُعَدِّدُهَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَمْلَكْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ»[٣] ، وبهذا يكون النبي ﷺ قد زوج هذا الرجل بما معه من العلم .

وعَنْ أَبِي الْعَجْفَاءِ السُّلَمِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ: «أَلَا لَا تُغَالُوا بِصُدُقِ

---

(١) النساء: ٤ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه رقم (١٠٤٢٠) والبيهقي في السنن الكبرى رقم (١٤١١٣ ، ١٤١١٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٢٧) .

النِّسَاءِ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، مَا أَصْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أُصْدِقَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً»[١].

إنّ على الآباء أنّ ييسروا أمر المهور ولا يبالغوا فيها، فإنّ من يَسَّرَ يَسَّرَ الله عليه، ولنعلم أنّ البركة في التيسير وعدم الاشتراط فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ أَعْظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُ مُؤْنَةً**»[٢] وقال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا**»[٣].

إنّ على الآباء أن ييسروا أمر الزواج إذا أتاهم من يرضون دينه وخلقه. وعليهم ألا يبالغوا في اشتراط النفقات الإضافية على الزوج كالهدايا أو نحوها لأن هذا مما يعيق الزواج أو يكلفه ما لا يطيق.

وعلى الآباء أن يحذروا من الإسراف والتبذير في حفلات الزواج التى أحدثها الناس من باب التفاخر والمباهاة، وربما تحمل بعضهم ديوناً أو تكلف ما لا يطيق إرضاءً للنساء، أو تقليداً للغير. وقد نهى سبحانه وتعالى عن ذلك وغلّظ النهي فقال: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾[٤].

إنّ كل هذه المخالفات سببها ضعف الإيمان، وقلة العلم، وذهاب هيبة الرجال، والاهتمام بالمظاهر الكاذبة.

و من المخالفات التي أحدثها البعض في هذه المناسبات أن يختلط الرجال بالنساء وأن يدخل الزوج على النساء وهن بكامل زينتهن.

إنّ الزواج شريعة ربانية وسنة نبوية فلا يجوز أن ترتكب باسمها أمثال هذه المنكرات والمخالفات التي تُغضب الله جلّ وعلا، وتفرح الشيطان وحزبه.

فعلى الأزواج أن يحرصوا على بداية هذه العلاقة الطيبة بتقوى الله تعالى ورضوانه، حتى يوفقهم ويبارك لهم في مقبل حياتهم.[٥].

* * * * *

(١) رواه أبوداود (١٨٠١) والنسائي (٣٢٩٧).
(٢) رواه أحمد (٢٣٣٨٨).
(٣) رواه أحمد(٢٣٣٣٨).
(٤) الإسراء: ٢٧.
(٥) د. خالد بن عبدالله القاسم.

المطلب السادس:
مقومات السعادة الزوجية

إن السعادة الزوجية مطلب ضروريّ لك راغب في الزواج، ومقبل عليه، وواقع فيه.

٢- كثرة وقوع المنازعات والخلافات الزوجية التي تؤدي إلى الفرقة والشقاق، ومن ثمّ الطلاق؛ وليس هذا في مجتمعنا فحسب، بل لا يكاد مجتمع يسلم من زخم الأرقام الهائلة لحوادث الطلاق، وخير دليل نقدمه على صدق هذه الدعوى ما أثبتته الإحصائيات لنسب الطلاق على المستوى الدولي.

ففي أمريكا وصلت نسبة الطلاق إلى ٤٨٪

بينما وصلت في ألمانيا لمن هم دون الخامسة والعشرين عاماً إلى ٣٥٪

وفي أوروبا عموماً وبعض الولايات الأمريكية وصلت إلى ٦٢٪

وإذا انتقلنا إلى الدول العربية، وجدنا بعضها قد وصلت فيه النسبة إلى ٢٠٪

وهذه النسب كلها مذهلة، حيث تجد نسب الطلاق تصل إلى ما فوق النصف، أو الثلث، أو حتى إلى الخمس.

فضلاً عن تلك البيوت التي تتشبث بعقد الزوجية مع ما تعيشه من اختلاف وتمزق وتعاسة.

٣- أن الأسرة المستقرة تُخرّج الأجيال الذين يُعدون لحمل رسالة الإسلام.

فنحن بحاجة إلى الشاب الصالح والفتاة المؤمنة اللذين يتربيان في بيت ترفرف عليه السعادة؛ لا الفراق والشقاق، وهنا ينشأ الأولاد في جو نفسي رائع بعيد عن التوتر والقلق، وفي مثل هذا البيت يتخرّج الدعاة والمصلحون.

وقد استشرت في هذا الموضوع المهم وهو "مقومات السعادة الزوجية" ذوي الاختصاص، كما رجعت إلى بعض المراجع، واستفدت من ذوي الخبرة والتجربة، وخرجت من هذا كله بخلاصة تحوي (معظم) مقومات السعادة الزوجية.

ولطول الموضوع، وكثرة ذيوله، فإنّي سأذكر هذه المقومات على سبيل الإيجاز والاختصار والتركيز الشديد.

وقبل أن ألجَ في خِضَمّ الموضوع، أحب أن أشير إلى اهتمام الإسلام وعنايته البالغة بشأن الزواج، وترغيبه التام، وحَثّه المُطّرِد عليه، وذلك في آيات وأحاديث كثيرة، أشير إلى بعض منها على عجالة:

فمن الآيات:

١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[١].

٢- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[٢].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٣].

- ومن صفات المؤمنين التي يذكرها الله لنا في معرض المدح: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٤]. فهم ينشدون السعادة في أزواجهم وأولادهم، ويسألونها من القادر عليها - سبحانه -.

ومن الأحاديث:

١- قوله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج**»[٥].

٢- ما رواه أنس، أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ، سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السرّ؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء! لا وقال بعضهم: لا آكل اللحم! وقال بعضهم: لا أنام على فراش! فحمد الله وأثنى عليه، فقال: «**ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام؛ وأصوم وأفطر؛ وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[٦].

أيها الأحبة إن بناء الأسرة من ضرورات قيام هذا الدين، لأن الأسرة لبنة المجتمع الأولى، وأساس هذا البناء الزواج الناجح المبني على أسس سليمة وأهداف مستقيمة، لأن اختلال الأسس، وتفاهة الأهداف تؤدي إلى انعدام الثمرة من التزاوج، وخذ على هذا مثلاً: أولئك الذين يقدمون على الزواج للمتعة، وقضاء الوطر فقط مجرداً عن المعاني العظيمة التي يُقصد الزواج من أجلها، فسرعان ما يمل أولئك الحياة الزوجية، لأنهم أخطأوا تحديد الهدف منذ البداية.

والإسلام حينما نزل هداية للبشرية، جاء بتشريع كامل شامل لجميع مناحي

---

(١) النساء: الآية ١.
(٢) الروم: من الآية٢١.
(٣) الذاريات: الآية٤٩.
(٤) الفرقان: ٧٤.
(٥) رواه البخاري (٩/ ١١٢) ومسلم (١٤٠٠).
(٦) رواه البخاري (٩/ ١٠٤) ومسلم (١٤٠١).

الحياة، ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[١]. لا تجد مسألة إلا وفي الإسلام تشريعها، ولا مشكلة إلا ولها دواؤها. يقول أبو ذر - رضي الله عنه - مترجماً هذا المعنى: "لقد تَرَكَنا رسول الله ﷺ، وما يتقلب في السماء طائر إلا ذكّرنا منه علماً"[٢].

والحياة الزوجية حظيت كغيرها بتشريع متكامل، وعالج الإسلام جميع جوانبها مما يضمن حياة سعيدة هانئة مستقرة.

ولقد كنت أتساءل عن سر هجوم أعداء الله الشرس على الأسرة المسلمة، ومحاولتهم نصب الشباك لإيقاعها في شرَك التمزق والاختلاف؟

فكان الجواب: أن الأعداء أدركوا أن انهيار الأسرة المسلمة معناه تلقائياً: انهيار المجتمع الإسلامي بكامله؛ فمتى فرَّخت القلاقل والمشكلات في بيت، فلا تنتظر أن يتخرّج فيه جيل صالح.

لقد زرت إحدى دور الأحداث، وأذهلتني الإحصائيات المتوافرة هناك، والتي أثبتت أن ما بين ٧٠ إلى ٨٠٪ من أسباب دخول الأحداث للدار، هو وجود الخلاف الناشب بين الزوجين، أو وقوع الطلاق.

وقد قسمت إحصائياتهم حسب الأحياء، وبتتبع يسير، وجدتُ أن الأحياء التي يكثر فيها وجود الخلافات والمنازعات بين الأزواج يكثر دخول أحداثها للدار، خلافاً لتلك الأحياء التي يقلُّ في بيوتها وقوع الشقاق بين الأزواج، فإن دخول أبنائهم للدار قليل جداً.

أرأيتم - أيها الأخوة - ما تُسببه نارُ المنازعة من تصدع في كيان الأسرة، وتقطُّع لأوصال المجتمع، وانهيار فى بناء الأمة، ومن هنا فَطِنَ الأعداء لهذا المدخل الخطير، وبذلوا ما في وسعهم لهدم بنائه وتحطيم جدرانه، نسأل الله أن يرد كيدهم في نحورهم[٣].

ما هي مقومات السعادة الزوجية؟

١- القدرة على حل المشكلات

ما من زوج ولا زوجة إلا ويريد أن يجعل من نفسه شخصاً قادراً على حل المشكلات الزوجية، والتغلب عليها، ولذا سنطيل النظر فيها لأهميتها، وعظم خطرها. ويتم ذلك في نظري بمراعاة عدة أمور:

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) رواه أحمد ٥/ ١٦٢، ١٥٣.

(٣) هذه الرسالة محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ ناصر العمر.

أ – التروي والحكمة:

عندما يمعن المرء النظر في الحياة الزوجية عند عامة الناس لا يكاد يجد بيتاً يسلم من مشكلة تخْبو نارها إلى وأخرى على إثرها يتأجج أُوارُها . وليس هذا غريباً على طبائع البشر ، حتى بيت النبوة لم يكن بمنأى عن تلك الخلافات لكنها حكمة الله تتجلى في وجودها ، ليظهر للناس كيف يقف المصطفى ﷺ منها ، فتقتدي الأمة به ، وتتأسى بهديه ، ولو شاء الله لصفّى للمصطفى حياته من الكدر ، ومشكلات البشر .

يروي أنس – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ كان عند بعض نسائه ، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بِصَحْفَةٍ فيها طعام ، فضربت التي كان النبي ﷺ في بيتها يد الخادم . فسقطت الصحفة ، فانفلقت ، فجمع النبي ﷺ فِلَقَ الصحفة ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ، ويقول: «**غارَتْ أُمُّكم**» ، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها ، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسِرت صحفتها ، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت فيه[1] .

فانظر – رعاك الله – إلى هذه الأناة وتلك الحكمة من هادي البشرية في معالجة الخلافات ، واحتواء المشكلة قبل أن تكبر وتتعاظم .

إن من أعظم ما يجب الاستمساك به عند اندلاع نار الفتنة في بيت الزوجية هو أن يطفئ المرء نارها بماء الأناة والحكمة وإلا فإن النار قد تزداد اشتعالاً فتُهْلِك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد .

ولقد حدث لأحد الأزواج خلاف مع زوجته ، أثار غضبها ، وطلبت منه الطلاق بقوة وإلحاح ، فأمرها أن تأتي بورقة وقلم ليكتب ما تريد ، فجاءت بهما ، فأشار عليها أن يؤجل الكتابة إلى الغد ، فوافقت ، فما أشرقت شمس غد حتى أشرق نور الوِفاق بينهما ، بعد زوال سَوْرة الغضب ، وحِدّة التّوَتّر وعلمت الزوجة أثر أناة زوجها في حل المشكلة وتلافيها .

ب – التكيف:

ونقصد به: حمل كل من الزوجين نفسه على التأقلم مع صاحبه ومراعاة اختلاف طبيعته ، وطريقته في التعامل .

وهذه المسألة من أخطر المشكلات التي تواجه الزوجين في بداية الزواج ، كما حدثني

---

(١) رواه البخاري (فتح ٩/ ٣٢٠) والصَّحْفَة: إناء يشبع الخمسة . والخادم: واحد الخَدَم يطلق على الذكر والأنثى .

بذلك أحد المختصين ، لأن كلاً منهما قد عاش في بيئة تختلف عن بيئة الآخر وعلى منهج مغاير ، فهل ينتظر منهما أن يتوافقا في الأذواق والأمزجة والطبائع في غضون ليال قليلة إن لم يحمل كلٌّ نفسه على التكيف مع صاحبه ، خصوصاً في بدء حياتهما . وعندما ينعدم التكيف نسمع أن فلاناً طلق عروسه ليلة عرسه ، وآخر فارقها بعد أسبوع ، وأخرى طلبت الطلاق بعد شهر ، وكان الأجدر بهؤلاء أن لو تريثوا وحملوا أنفسهم على الاختلاف الطارئ في التعامل .

جـ - ضبط اللسان:

حفظ اللسان من سيئ الكلام ، وبذيء الحديث ، والثرثرة أعظم مفتاح يمتلكه المرء لإغلاق باب المنازعات على نفسه ، إذ لو تأمل العاقل في غالب منازعات الناس ، فضلاً عن الزوجين ، لوجدها من عثرات الألسن ، وصدق رسول الله ﷺ، حين قال لمعاذ - رضي الله عليه -: «**وهل يكبُّ الناسَ في النار على وجوههم - أو قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم**»[1] .

نعم إن فلتات اللسان مقاتل الإنسان ، وأماني الشيطان ،ولذا فعلى كل من الزوجين حفظ لسانه وبخاصة عند حدوث المشكلات وارتفاع سَوْرَة الغضب ، فمنه كلمة ومنها أخرى حتى يقع المحذور .

د - عدم نقل المشكلات خارج البيت

إن نقل المشكلة خارج نطاق البيت يعني بقاءها ، وازدياد اشتعال نارها ، وخصوصاً إذا نقلت إلى أهل أحد الزوجين ، لأنهم لا يدركون أبعاد المشكلة وأسبابها ، وغالباً ما يسمعون القضية من طرف واحد ، هو خصم ، والخصم لا يسمع كلامه إلا بحضور خصمه ، فيحكمون حكماً جائراً أعور ، وقد تأخذهم الحمية لإنقاذ ابنهم أو ابنتهم ، فيُضْرمون نار العداوة والبغضاء بين الزوجين إضراماً يذهب بالبقية الباقية من أواصر المحبة بينهما .

وغالب ما يحدث من منازعات بين الزوجين إنما هي أمور طفيفة لأسباب تافهة ، تقوم لسوء مزاج أحدهما في وقت معين أو نحو ذلك ، ثم تُصور للآخرين بألفاظ أضخم من حقيقة المشكلة فيظن السامع لها الذي لم يعايشها أنها كبيرة ومستعصية ، فتأتي على إثر ذلك حلول شوهاء ، يذهب ضحيتها الزوجان . ولذلك كان من المستحسن أن يتواصى الزوجان ، ويتعاهدا على عدم نقل مشكلاتهما خارج عشّ الزوجية ، وأن يحرصا كل الحرص على ألا

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، والترمذي (٢٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح .

تبيت المشكلة معهما ليلة واحدة .

هـ - استشارة ذوي العقول وأهل الاختصاص.

إن التشاور مع ذوي الشأن وأرباب الحِجى عامل مهمّ في كل ما يحدث من خلاف بين الزوجين ، ذلك لأن غيرك يعرف من الحلول ما لا تعرفه ، وقد يكون ممن وقع في حَدَثٍ مماثل فَوُفِّق للحل المناسب . وعادة ما يصاب المرء حين المشكلة بضيق في الرأي ، وتعكير على صفو التفكير ، يحتاج معه إلى الاستناد إلى آراء الآخرين ، للخلاص مما هو واقع فيه .

وأعرف شاباً وقع في بيته حدث كاد يُودِي بالحياة الزوجية إلى أمر محزن ، لولا أن الله وفقه لاستشارة صاحب رأي من إخوانه ، فطمأنه إلى أنه لا مشكلة فيما حدث ، إن عمل بمشورته بإذن الله ، وفعلاً انقلبت المشكلة إلى سعادة ورضا ، وصارت الزوجة تخجل من نفسها إذا تذكرت ما حصل منها ، وحمد الزوج ربّه على الأناة ، وضبط اللسان ، واستشارة ذوي الشأن .

﴿وإنْ خفْتُمْ شقَاقَ بَيْنهما فابعثوا حَكَماً مِنْ أهْله وحَكَماً مِنْ أهْلها إنْ يُرِيدَا إصْلاحا يُوفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إنَّ اللَّه كَانَ عَليما خبيرا﴾[1] .

و - الرضا بالقضاء والقدر:

إن من أعظم ثمرات الإيمان بقدر الله وقضائه ، الاطمئنان إلى عدل الله وحكمته ، فإن أمر المؤمن كلَّه له خير ، إن أصابته سراءُ شكر فكان خيراً له ، وإن أصابه ضراء صبر فكان خيراً له ، والصبر على مُرِّ القضاء دليل على قوة الإيمان وهو ابتلاء من الرحمن لعبده ، أيقابله بالشكر والرضا ، أم بالكفر ، والسخط بما قدره الله تعالى ، والاعتراض على حكمته وتدبيره .

وليعلم الزوجان أن رضاهما بما قدر عليهما كعدم الإنجاب ، أو ضعف الولد أو تشويهه أو نحو ذلك من أسباب المشكلات ، واحتسابهما الأجر عند ربهما وصبرهما على بليتهما خيرٌ لهما في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا سعادةٌ وانشراحُ صدرٍ . وفي الآخرة جنة ، ورضوان من الله أكبر .

وإنه لينقضي عجبك من قوم تسمع عن أحدهم أنه هدد امرأته بالطلاق ؛ لأنها تنجب البنات . وكأنه لا يدري أن أمر الولد ليس موكولاً إليها ، ولا إلى أحد من المخلوقين ، بل هو

---

(١) النساء: ٣٥ .

تقدير العزيز العليم ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً ﴾ (١) . وكأنه أدرى بالحكمة وأعرف بالمصلحة من ربه - جل وعلا - وهذا التصرف دليل على ضعف الإيمان ، وقلة اليقين .

وقد روت كتب الأخبار أن رجلاً سخط على امرأته وهجرها لأنها مئناثٌ لا تَلِدُ إلا البنات ، وتزوج من أخرى ، فأنشأت أبياتاً تقولها وهي ترقص إحدى بُنياتها وتبين أنه لا مجال للسخط عليها:

فأدرك الزوج خطأه ، وعاد إلى زوجته ، وعاشرها بالحسنى .

وقد يبتلي بعض الرجال بزوجة دميمة ، فعليه أن يصبر على ما ابتلي به ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ (٢) . وعليه ألا يُعَيّر المرأة بدمامتها ، وهو أمرٌ ليس من تقديرها وخلقها ، وقد يؤدي مثل هذا التعيير والتنقص إلى إثارة المرأة ومحاولتها الانتقام من زوجها ، كما نشرت جريدة الرياض قصة امرأة مصرية ، قتلت زوجها ، وقطعته عدة قطع ، لأنه كان يعيرها بقبحها ، ويهددها بالزواج عليها .

ومثل ذلك إذا أنجبت المرأة أولاداً معوقين ، فعليه بالرضا بالقضاء والقدر ، ولعل الله أراد به خيراً ، وإذا أحب الله عبداً ابتلاه ، وعليه بفعل ما يشرع من الأسباب لتلافي مثل ذلك ، وقل مثل هذا إذا أصيب أحد الزوجين بمرض أو عاهة فعلى الآخر الرضا والصبر والاحتساب ، فالله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

وعلى الزوجة أن تصبر إذا افتقر زوجها بعد غنى ، أو ابتلي بمصيبة من مصائب الدنيا كالسّجن والتغرب وغيرها ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾ (٣) .

* * * * *

(١) الشورى: الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .
(٢) النساء: من الآية ١٩ .
(٣) الطلاق: من الآية ٧ .

المطلب السابع:
الحث على تيسير المهور في الكتاب والسنة

يقول الله جل وعلا: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾ (١) والصداق إن كان باهظاً مرهقاً فإنه عند ذلك لا يكون نحلة عن طيب نفس، وإنما يضطر إليه راغب النكاح ليسد حاجته ولينال مقصده، وجاء عن النبي ﷺ قوله: «**خير النكاح أيسره**» (٢).

يقول ﷺ: «**خير النكاح أقله كلفة**» (٣) ويقول عمر بن الخطاب: لا تغالوا في صدقات النساء؛ فإنها لو كانت مرغوبة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسولكم ﷺ؛ فإنه ما أصدق أحداً من نسائه ولا أصدقت واحدة من بناته أكثر من خمسمائة درهم أي: ما يعادل مائة ريال تقريباً.

والفضلاء الكرماء من الرجال لا يؤثر قلة الصداق في نفوسهم شيئاً، وإنما جل مقصدهم أن يتصل خاطبهم بابنتهم في حالة تنبعث من المودة والمحبة، ألا وإن اعتذار بعض الأولياء في تزويج البنات من قلة الصداق جريمة من أعظم الجرائم التي يرتكبها ذلك الأب، ولو أدرك قليلاً مما في قلب ابنته لوجد أنها تريد الزواج ولو على أدنى اليسير من لقمة العيش، ونحن في خطر ومصيبة حينما يقدم الكفء خاطباً فيرد لقلة ماله أو لقلة صداقه الذي قدم وما شابه ذلك؛ لأن الولي إذا وقف أمام الكفء في طريقه إلى الزواج من ابنته؛ فإنه بهذا يغلق طريق السعادة على ابنته لا قدر الله ذلك إن بقيت بلا زوج، أو تزوجها سفيه لا يبالي بالمرأة على أي ذنب سقطت تحت خشونته وعبثه.

ولقد جاء عنه ﷺ قوله: «**من آتاكم ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عظيم**» (٤).

وليعلم أولئك الذين يردون الخطاب الأكفاء عن بناتهم لقلة المال أنهم حرموا أنفسهم وبناتهم خيراً كثيراً، ولو تمسكوا بأمر المال والمتاع من باب قوله جل وعلا: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾ (٥) والأيامى: جمع أيم وهو الذي لا زوج له من بنت أو ولد: ﴿ إِنْ يَكُونُوا

---

(١) النساء: ٤.
(٢) رواه أبو داود عن عقبة بن عامر بسند حسن.
(٣) صحيح البخاري.
(٤) رواه الترمذي.
(٥) النور: ٣٢.

فقراءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[١] لوجدوا أن الغنى أسرع ما يكون لمبتغي النكاح قاصداً لذلك الستر والعفاف والذرية الصالحة، ما رأيكم برجل أقسم الله على نفسه أن يعينه أترونه يحتاج إلى الناس وقد أعانه الله، أترونه يفتقر إلى العباد وقد أغناه رب العباد: «**ثلاثة حق على الله عونهم**: - ذكر منهم - **الناكح يريد العفاف**»[٢]. فاتقوا الله يا معاشر الأولياء ولا تردوهم من أجل مال.

أيها الأحباب! إن المغالاة في المهور تجر مصائب كثيرة:

أولها: الإسراف في وليمة النكاح التي تمد لها فرش الموائد مزينة بألوان الأطعمة ولذيذ أصنافها، ولا يؤكل منها إلا القليل، وبعدها أترضى أن توزع على المستحقين والفقراء؟

لا والله، بل تقذف في الفضلات، حيث ترمى بين أنقاض التراب بعيداً في البرية، والآلاف من غيرهم يجوعون ولا يجدون ما يأكلون، وإن جاء بعد ذلك من يأكل منها بعد انصراف الضيوف عن الموائد فلن يأكل إلا أقل القليل، والباقي مصيره ما تعرفونه وتشاهدونه في كثير من الملاهي والحفلات، وإن زواجاً أوله وبدايته إسراف وتبذير في نعمة الله، واحتقار لقدرها في كتابه؛ لحقيق أن يعاقب بالفشل والفرقة في وقت قريب. وإذا تأملتم - أيها الأحباب - في واقع الزواجات المتواضعة، ذات الصداق المتواضع الذي لا كلفة فيه ولا مشقة، ترونها تسير براحة وعدم إسراف وتبذير.

وتذكروا قول المصطفى ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: «**أولم ولو بشاة**» معنى ذلك: دليل على بركة الاقتصاد في هذا النكاح، وسبيل إلى التوفيق والمودة بين الزوجين فيه، ولكن الأدهى والأمر أن يأتي عائل مستكبر لا يملك شيئاً من المال إلا يسيراً، وقد تدين ذلك المال من أهل المداينات، ثم يخطب امرأة ويطلب منه من المال الشيء الكثير، ومن ثم يوافق على المهر؛ فيأخذ المهر على ما فوقه من الشروط والتكاليف، ويتم الزواج على ما يتم عليه في لحظة إسراف في الوليمة؛ فإذا انتهت أيام الولائم والأفراح وضع ذلك الزوج يده على خده، وثنى رأسه بين ركبتيه يتفكر في هم الديون العظيمة التي لحقته، فتنقلب حياته نكداً وشقاء عليه وعلى زوجته المسكينة الضعيفة، وإن من كرم الشمائل وتمام العقل أن ينظر الولي للمتقدم إلى ابنته؛ فإن قدَّم مهراً كثيراً رد عليه ما زاد عن المئونة المتواضعة والكافية لحاجة ابنته، لكي يكسب بذلك أجراً عظيماً من الله، ويكون أدعى للقرب منه، لما عرف من تواضعه وزهده، أما ما شاع بين الناس أن فلاناً أخذ على ابنته من المهر كذا.

---

(١) النور: ٣٢.

(٢) سنن النسائي٣١٦٦.

فليعلم أن الذي يرغب في مصاهرته بعد ذلك ويريد الزواج من بقية بناته أنه لا بد أن يقدم مهراً كالمهر الذي قدمه غيره أو ينافسه، وإلا فلا يقبل، وبها تبقى بناته واحدة بعد الأخرى في البيت لا نصيب لها بسبب ما جره صداق الزوج الأول، وقبول الولي لذلك الصداق دون مراعاة ودراسة لحال ذلك الذي قدمه.

نسأل الله جل وعلا أن يستر على بناتنا، اللهم لا تفضح لنا ستراً، ولا تكشف لنا عورة، واستر على بناتنا واجعلهن في كنفك وسترك وعافيتك من أيدينا أمانة إلى أزواجهن سعداء شرفاء، إلى قبورهن شهداء سعداء [1].

* * * * *

المبحث الخامس:
هل ترضونه لأخواتكم...؟!!

المطلب الأول:
الـــزواج العرفـي

كثرت ظاهرة انتشار الزواج العرفى فى هذه الأيام عن ذى قبل، وكانت المرأة تلجأ إليه عادة إذا كانت متوفى عنها زوجها وتتقاضى معاشًا شهريًا من الجهة التى كان زوجها يعمل بها، لأنها لو تزوجت بعقد رسمى عن طريق المأذون الشرعى، فإن العقد سيوثق بمحاكم الأحوال الشخصية، ومن ثم فإن جهة العمل تمنع المعاش الشهرى الذى تصرفه للأرمل لدخولها فى عصمة زوج آخر يتولى الإنفاق عليها ومهما يكن الأمر فليس ولكن الأدهى والأَمَرّ. أن هذه الظاهرة الخطيرة قد تفشت كثيرًا فى هذه الأيام، وحكم الشرع فى هذا الزواج أنه باطل ويجب فسخه قبل الدخول وبعده، وحرمته ثابتة بالكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة وأقوال العلماء وأئمة المذاهب الفقهية. وهذا كله نتناوله بمشيئة الله بشىء من البسط فى النقاط الآتية:

١) بادئ ذى بدء نقول: إن تسمية هذا النوع من الزواج باسم الزواج العرفى تسمية غير صحيحة ولا تتفق مع الحقيقة والواقع، لأن معنى كون الشىء عرفيًا أن الناس قد تعارفوا عليه وارتضوه وألفوه، وهذا الزواج لم يتعارف عليه الناس ولم يرتضوه ولم يألفوه. بل تعارفوا على الزواج الموثق الذى يكون فى النور والعلن، بحيث إنه إذا أطلق لفظ الزواج فإنه لا ينصرف ولا يعنى إلا شيئًا واحدًا عند العامة والخاصة وهو الزواج الموثق الذى يحضره الولى،

---

(١) للشيخ سعد البريك بتصرف.

ويدعى إليه القريب والغريب، ويباركه جميع الناس الأقربون منهم والأبعدون. فإن هذه التسمية خاطئة وغير صحيحة. ومن أراد أن يسميه فليكن الاسم الصحيح والمناسب له هو: الزواج الغير عرفى زاد انتشارها بين طلبة الجامعات هذا مسوغًا شرعيًا للجوء المرأة إلى هذا النوع من الزواج وتعبيرى عنه هنا باسم الزواج العرفى ليس اعترافًا به، ولكن من باب التجاوز كى أبين حكم هذا النوع من الاقتران الذى أطلق عليه الناس هذا الاسم.

الزواج العرفى:

يتم عادة من غير ولى. وقد اتفق جمهور الفقهاء على أن الولى شرط فى عقد الزواج أو ركن فيه لقوله: «**لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل**». ولقوله: «**أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل، فنكاحها باطل**» وقد صح عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قولها: كان النكاح فى الجاهلية على أربعة أنحاء. فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها. فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم. وما هو نكاح الناس الذى أبقاه النبى وهدم كل ما عداه؟ إنه هو النكاح الذى يحضره الولى بدليل قولها - رضى الله عنها - "يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته" فقد أفاد الحديث أن الخاطب يخطب المرأة من وليها أو من أبيها وليس منها هى.

أما فى الزواج العرفى تتولى المرأة تزويج نفسها بنفسها. وهذا غير جائز شرعًا لقوله: «**لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها فإن الزانية هى التى تزوج نفسها**». فأى وصف أقسى وأفحش وأشد وأشنع من الزنا توصف به المرأة التى تتزوج من غير ولى. حتى إن النبى ﷺ قد أخبر عن المرأة التى ليس لها ولى أصلا، أو لها أكثر من ولى وتنازعوا واختلفوا فى اختيار الزوج الكفء أن هذه المرأة يزوجها الحاكم أو القاضى، ولم يأذن لها صلى الله عليها وسلم فى تزويج نفسها بنفسها بنص الحديث: «... **فإن اشتجروا فالسلطان ولى من لا ولى لها**» فقد أفاد الحديث ضرورة حضور الولى حتى ولو كان هو الحاكم نفسه عند فقد المرأة وليها.

الزواج العرفى هو فى حقيقته نكاح سر، لأنه يتم فى الخفاء، ولا يكفى فيه الشهود وحدهم من غير الولى لما ذكرناه. والمالكية يشترطون فى الزواج الإعلان والإشهار لقوله: «**أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف**»[1]. وهنا نجد أن النبى أباح الغناء فى الزواج

---

(١) سنن ابن ماجه١٨٨٦.

لإشهاره وإعلانه . والغناء الذى أجازه النبى فى الزواج هو قطعًا الغناء المباح الذى لا مجون فيه ولا إسفاف . ولم يرخص النبى فى الغناء فى أى شىء أبدًا إلا الزواج .

قال الحافظ بن حجر فى الفتح: وللطبرانى من حديث السائب بن يزيد أن النبى قيل له: أترخص فى هذا؟ - الغناء والضرب بالدف - قال: «**نعم. إنه نكاح لا سفاح، أشيدوا النكاح**» . و«**فصل ما بين الحلال والحرام الضرب بالدف**»[١] .

وما أشبه الزواج العرفى بنكاح الخِدْن الذى كان معروفًا فى الجاهلية وأبطله الإسلام، وهو أن يكون للمرأة خليل فى السر يعاشرها معاشرة الأزواج . قال ابن حجر فى الفتح: وهذا النوع من النكاح هو المذكور فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ أى أصحاب وخلان . فالزواج العرفى هو هذا ولا فرق غاية الأمر أن فاعليه قد تحايلوا على حِلِّهِ بحضور شاهدين وورقة مهملة، ثم تكون المعاشرة سرية، ولا يكون الحرام حلالا أبدًا مهما تبجح فاعلوه وحبكوا من أجله الحيل .

التوثيق ضرورى ولابد منه حماية للمرأة وحفاظًا على حقوقها، لأن الزواج الذى يسمى بالعرفى، ويتم فى هذه الأيام بين طلبة الجامعات يتم بين شباب فى مرحلة المراهقة، لا يقدر المسئولية، ولا يقصد من وراء هذا الزواج إلا المتعة الجسدية والشهوة الجنسية لا غير، ونكاح المتعة باطل باتفاق جماهير أهل العلم سلفًا وخلفًا؛ لأن الزواج مبناه على السكن والمودة وإنجاب النسل والذرية، كما أخبر عن ذلك المولى عز وجل فى كتابه الكريم . قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[٢] .

فأين السكن هنا فى زواج فى الخفاء يختفى فيه الزوجان عن أعين الناس كى يتقابلا، ويلتقيان فى مكان سرى خفية بعيدًا عن الأهل كى يقضيا الشهوة الجنسية؟ . ما الفرق بين تصرفهما هذا وتصرف الزانيين؟ إنه هو بعينه ولا فرق . وأى مودة ورحمة هنا والزوج بهذه الورقة الغير موثقة يمتلك بها الزوجة ويمنعها من الزواج برجل آخر فى العلن؟ ولما يتقدم لها زوج آخر عن طريق الأهل ويرتضونه زوجًا لابنتهم وهم لا يعلمون بخيبة أملها . بهذا الزواج السرى، فإنها تكون أمام أحد خيارين كلاهما أَمَرُّ من الآخر: إما أن تقبل هذا الزوج خوفًا من أهلها، وفى هذه الحالة سيظهر الأول الورقة العرفية ويفضح أمرها، وهذا سيجر عليها من المشاكل والأذى من أهلها ما لا تحمد عقباه، وإما أن ترفض كل زوج يتقدم لها وهى بهذا تظل طوال حياتها أسيرة ورقة سرية، وذليلة نزوة جنسية، فتكون بذلك

---

(١) لأحمد والترمذى والنسائى من حديث محمد ابن حاطب .

(٢) الآية ٢١ من سورة الروم .

معلقة ، لا هى متزوجة ولا هى مطلقة ، وحينئذ تعض أصابع الندم ، وتتلوى حسرة ومرارة ، نتيجة طيشها واستهتارها ، وتفريطها فى شرفها وعرضها وماذا يفيد الندم وقد نفذ السهم ، وحلت الحقيقة والواقع محل الخيال والوهم ، فيبقى الْجُرْحُ نافذا لا يندمل أبدا

يقول سبحانه فى كتابه الكريم: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (١) .

فأين البنون والحفدة من زواج سرى يحرص فيه الزوجان كل الحرص على قطع النسل ومنعه كلية خشية افتضاح أمرهما ، وكشف ذل عارهما . وفى هذا ارتكاب محظورين: الأول: هذا الزواج الباطل باتفاق جمهور الفقهاء . والثانى: منع النسل وقطعه ، الذى تكون به عمارة الكون ، والذى رغب المولى فى الزواج من أجله بهذه الآية ، وبقوله : «**تناكحوا تناسلوا تكثروا فإنى مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة**» .

من مآسى الزواج العرفى أن الشاب المراهق عندما يقضى غرضه ويشبع رغبته منها يتركها ذليلة مهينة ، لا حيلة لها تجاهه ، ولا سلاح بيدها تحصل به على حقوقها ، وما ضاع عليها من سِنِّى حياتها ؛ لأنها لا تستطيع أن تخبر أهلها بهذا العار الذى وصمتهم به ، والفضيحة التى لوثت بها شرفهم ، كما أنها لا تستطيع أن تلجأ إلى القضاء ولا أن تدنو من ساحته لطلب حقوقها كزوجة من مؤخر صداق - وعادة لا يكون لها ذلك - ونفقة ومتعة وما إلى ذلك ، فهذه الحقوق كلها قد ضاعت عليها لأن دعواها لا تسمع لعدم توثيق زواجها طبقًا للفقرة الرابعة من المادة ٩٩ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية ، والتى تقضى بعدم سماع دعوى الزوجية عند الإنكار إلا إذا كانت العلاقة الزوجية ثابتة بوثيقة رسمية قد يلحق هذه الزوجة ضررًا أشد عليها من ضياع حقوقها المالية المشار إليها ، وذلك عندما يحصل الزوج خِلْسَةً على الورقة الخاصة بها بطريقة أو بأخرى ، ثم ينكر الزوجية ، وهنا تكون الكارثة والمصيبة الطامة حينما تكون الزوجة حاملا منه ، ولا يوجد بيدها شىء يثبت زواجها منه البتة ، ولا قيمة حينئذ لشهادة الشهود المجردة عن شىء مكتوب يثبت العلاقة الزوجية ، فمن حق الزوج أن يخاصم الشهود ويكذبهم أو يشترى سكوتهم فيكون الحكم الوحيد لكل الناس على هذه المرأة أنها زانية ، وأن الحمل من سفاح . وهنا قد يقتلها أبوها أو يموت بسكتة قلبية حسرة وألمًا ، وما إلى ذلك من المآسى والأضرار التى تكون بحجم هذا الذنب الكبير والجرم الخطير ، فضلا عن المعرة التى تلازم الأهل أجيال وأجيال حتى السابع من الولد ، بعد أن تمرغت أنف الأب فى التراب ، ووضعت رؤوس الأخوة فى الوحل .

---

(١) الآية ٧٢ من سورة النحل .

سألنى يومًا بعض الناس من أن شابًا أخرج من جيبه صورة فتاة أمام رجلين وقال لهما: اشهدا أننى تزوجت هذه الفتاة، فقالا: شهدنا على ذلك. ويظن السائل أن هذا الزواج صحيح لأنه قد أشهد عليه شاهدين. فَأَجَبْتُهُ بحرمته وبطلانه. وأقول: إن هذا فى نظر السائل هو الزواج العرفى الذى نتحدث عنه الآن، وإن كان هذا النوع الذى سئلت عنه ليس زواجًا بالمرة لخلوه من الشاهدين فضلا عن خلوه من الولى. أما خلوه من الشاهدين فلأن شهادة اثنين على صورة الفتاة بهذه الطريقة لا تكون شهادة على الزواج، لأنه يشترط لصحة العقد أن يسمع الشاهدان معًا فى مجلس واحد ووقت واحد كلا من الإيجاب والقبول، كما يشترط أن يكون المجلس متصلا. وهنا قد سمع الشاهدان إيجاب الزوج فقط وهو إبداء رغبته فى الزواج من هذه الفتاة، ولم يسمعا القبول من وليها، فلا تكون شهادة إذن، لأنهما قد سمعا أحد ركنى الصيغة وهو الإيجاب فقط ولم يسمعا الركن الآخر وهو القبول. ومن ثم فلا عقد ولا زواج كما قررنا.

إننا ننصح الشباب أن يتقوا الله فى بنات المسلمين، ويحافظوا على أعراضهن ولا يستغلونهن فيما لا يرضونه لأنفسهم، فهل يرضى الشاب ويقبل أن تتزوج أخته أو أمه أو إحدى قريباته بهذه الطريقة المزرية، وما موقفه لو فعلت إحداهن ذلك؟ إننى أسوق لشبابنا هذا الهدى النبوى الكريم لعله يتذكر أو يخشى. حينما ذهب رجل إلى النبى ﷺ يلتمس منه ترخيصًا فى اقتراف الزنا لشدة ميله إلى النساء. فقال: «**أتحب الزنى لأمك**» قال: لا، فقال: «**أتحبه لأختك**» قال: لا. قال: «**أتحبه لبنتك**» قال: لا. قال: «**أتحبه لزوجك؟**» قال: لا فقال: «**هكذا الناس يا أخا العرب لا يحبونه لأمهاتهم ولا لأخواتهم ولا لبناتهم ولا لزوجاتهم فاتق الله أيها الشاب ولا تفض الخاتم إلا بحقه**».

كما أننا ننصح فتياتنا وبناتنا المحافظة على شرفهن وأعراضهن، وعدم تلويث سمعة الأهل، وتعريضهم لقالة السوء والغمز واللمز بهذا الزواج الرخيص المهين، الذى يجلب الخزى والعار للآباء والأجداد، والأبناء، والأحفاد. وأن تجعل كل فتاة من نفسها مثالا لبنات جنسها فى الخلق يحتذى، وأسوة فى العفة والطهر تؤتسى، وأن تنأى عما يدنس شرفها وشرف أسرتها، وخير لها أن تخرج من بيت أبيها وقد تولى تزويجها بولايته، وحضر زفافها فى عرس علنى مشرف، وقد أدخلها بيت زوجها معززة مكرمة، وهو مفاخر بابنته التى شرفته ورفعت هامته، لعفافها وطهارة ذيلها، وحميد سيرتها[1].

* * * * *

(١) أ. د. فرج زهران الدمرداش.

المطلب الثاني:
زواج المسيار

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:
تعريفه

في اللغة: المسيار لغة من السير، وفي المضي في الأرض، يقال: سار يسير مسيراً وتسايراً وسيرورة إذا ذهب.

وتقول العرب: سار القوم يسيرون سيراً ومسيراً، إذا امتد بهم السير في جهة توجهوا لها، والتساير تفاعل من السير، ومسيار صيغة مبالغة، يوصف بها الرجل كثير السير، تقول: رجل مسيار وسيار "لسان العرب".

وسمي به هذا النوع من النكاح؛ لأن المتزوج لا يلتزم بالحقوق الزوجية التي يلزمه بها الشرع؛ فكأنه زواج الساير أو الماشي الذي يتخفف في سيره من الأثقال والمتاعب، فالمسيار إذن هو المرور وعدم المكث الطويل.

المسيار في الاصطلاح: هو الزواج الذي يذهب فيه الرجل إلى بيت المرأة ولا تنتقل المرأة إلى بيت الرجل؛ وفي الغالب تكون هذه الزوجة ثانية، وعنده زوجة أخرى هي التي تكون في بيته وينفق عليها ،وعرفه الشيخ عبد الله بن منيع: الذي أفهمه من زواج المسيار - وأبني على فهمي ما أفتي به حوله - أنه زواج مستكمل لجميع أركانه وشروطه، فهو زواج يتم بإيجاب وقبول وبشروطه المعروفة من رضا الطرفين، والولاية، والشهادة، والكفاءة، وفيه الصداق المتفق عليه، ولا يصح إلا بانتفاء جميع موانعه الشرعية. وبعد تمامه تثبت لطرفيه جميع الحقوق المترتبة على عقد الزوجية من حيث النسل، والإرث، والعدة، والطلاق، واستباحة البضع، والسكن، والنفقة، وغير ذلك من الحقوق والواجبات، إلا أن الزوجين قد ارتضيا واتفقا على ألا يكون للزوجة حق المبيت، أو القسم، وإنما الأمر راجع للزوج متى رغب زيارة زوجته - المسيار - في أي ساعة من ساعات اليوم والليلة فله ذلك.

وقيل في تعريفه: هو الزواج المستكمل لجميع شروطه وأركانه، فهو زواج يتم بإيجاب وقبول، وبشروطه المعروفة، إلا أن الزوجين قد اتفقا على ألا يكون للزوجة حق المبيت ولا الحقوق المالية؛ وإنما الأمر راجع للزوج متى رغب في الزيارة في أي ساعة من ساعات اليوم والليلة، فله ذلك، ولعل هذا ما كان يعرف في أيام الحسن البصري رحمه الله بزواج

النهاريات ويفهم من هذا التعريف: أن الزواج يعفي من واجب المسكن والنفقة والتسوية في القسم بينها وبين زوجته أو زوجاته، تنازلاً منها فهي تريد رجلاً يعفها ويحصنها، دون أن تكلفه شيئاً، لاستغنائها بما لديها من مال وكفاية تامة..

الفرق بينه وبين الأنكحة الأخرى، خاصة العرفي والسر:

بالنظر إلى تعريفات زواج المسيار يمكن القول بأنه لا فرق بينه وبين الزواج الشرعي إلا من جهة تنازل الزوجة عن بعض حقوقها، وإسقاطها لما يجب لنا من نفقة وسكن وقسم ونحو ذلك، ولولا هذه التنازلات من قبل الزوجة لكان قريباً من الزواج الشرعي الذي جرى به التعامل بين الناس.

ولكن لما كان هذا الزواج يغلب عليه التواصي بالكتمان الذي ربما يكون وسيلة في إنكار نسب الولد، وقد يجترئ بعض الناس على التقصيرا لمشين فيما يثبت للمرأة من حقوق، وعلى هذا نرى أنه نكاح غير صحيح لما واكبه من إخلال حقوق الزوجة ومن تعريض المرأة للإساءة والتقصير، وقد بينا فيما سبق مكانة الزواج في الإسلام الذي يشترط له الإعلان والإظهار وإشاعته بين الناس بكل الوسائل.

وقفة: الفرق بين المسيار والزواج العرفي:

يمكن القول بأن الفرق بين الزواج العرفي والمسيار، أن الزواج العرفي زواج شرعي قد استكمل جميع شروطه وأركانه، وقد كان هو الزواج المتعارف عليه طيلة ثلاثة عشر قرناً بين المسلمين، وقد جاءت تسميته بالعرفي بعد أن ألزمت الدولة بتسجيل عقد الزواج في المحاكم الشرعية أو دوائر خاصة.

وعلى ذلك فالنقص الذي يكمن في الزواج العرفي كما أسلفنا هو نقص في توثيقه لدى المأذون أو السلطات القضائية لا غير، أما ماهيته فهو عقد استكمل جميع شروطه وأركانه، وترتب عليه جميع آثاره الشرعية والقانونية بما فيه ثبوت حق النفقة والمبيت، لذا فإن الفارق بين هذين النوعين في ثبوت حق النفقة والمبيت في الزواج العرفي وعدم ثبوتها في زواج المسيار، وهذا لا يعني أن زواج المسيار لا يمكن أن يكون زواجاً "عرفياً"، بل من الممكن ذلك، حينما لا يسجل لدى الدوائر القضائية، لكنه لا بد أن يكون قد استكمل جميع أركانه وشروطه المعروفة في الزواج الصحيح.

ثانياً: الفرق بين زواج المسيار وزواج السر (الذخيرة):

لكي يتضح الفرق بين زواج السر، لا من تعريف زواج السر وهو: ما يوصي فيه

الزوج الشهود بكتمانه عن زوجة أخرى أو عن جماعة ولو أهل المنزل .

وعليه ، فيمكن بيان الفرق بين زواج المسيار وزواج السر ، بأن زواج السر فيه إيجاب وقبول ، ويشهد عليه شاهدان ، ويكون فيه ولي غالباً ولكن يتواصى الزوجان والولي والشهود على كتمانه وعدم إعلانه ، وفيه يثبت حق النفقة والمبيت والسكن وسائر الحقوق ، ولا يسقط شيء منها كما هو الحال في زواج المسيار ، غير أن الفقهاء قالوا ببطلان نكاح السر فهم إن اختلفوا في هل شرط صحة العقد الإشهاد أم الإعلان لكنهم لم يختلفوا في أن النكاح السري يشبه البغاء فيكون باطلاً .

حكمه الشرعي:

نظراً لأن زواج المسيار من العقود المستحدثة ، فقد تباينت آراء العلماء في حكمه بين مبيح إباحة مطلقة ، ومبيح مع الكراهة ، وقائل بالتحريم ، **وهذا بيان الآراء بإيجاز:**

الرأي الأول: إنه مباح مطلقاً ، قال به عدد من العلماء المعاصرين ، وعللوا بأن زواج المسيار زواج استوفى شروطه وأركانه ، وخلا من الموانع فالأصل صحته ، ولا ضرر في الاتفاق الحاصل بين الزوجين على قضية النفقة والمبيت والقسم . وإن حقوق المرأة مكفولة ما دام العقد مسجلاً لدى الجهات الرسمية المعنية بتوثيق العقود .

وقال فريق من العلماء بالجواز مع الكراهة وعللوا: بأن هذا الزواج لا يحقق الهدف المنشود منه وهو المودة والرحمة والسكن وإنما الذي تحقق هو: المتعة والأنس فقط وعدم تحقق كل الأهداف المرجوة قد يبطل العقد .

وأيضاً: إن زواج المسيار وإن بدا صحيحاً في الظاهر لتوافر أركانه وشروطه إلا أنه زواج تنعدم فيه مسؤولية الرجل في التربية والرعاية والإشراف والإعانة على شؤون الحياة وظروفها القاسية .

الرأي الثالث: أن زواج المسيار ممنوع وعلل من قال بذلك: بأن هذا الزواج يتنافى مع مقاصد الزواج في الشريعة إذ إن الزواج في الإسلام يقوم على أركان ثلاثة: المودة ، الرحمة ، السكنى ، الواردة في سورة الروم الآية ٢١ ، وزواج لا تتوافر له هذه الأركان لا يصح ، لأن هذا الأسلوب في الزواج يتنافى مع قوله تعالى: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾[1] ، على أن هذا الزواج يظهر فيه استغلال حاجة المرأة حيث يتمتع بقضاء الوطر دون أن يحقق للمرأة كل الأهداف السامية

---

(١) النساء: من الآية ٣٤ .

للزواج، قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١]، وفي زواج المسيار لا يتحقق للمرأة ما يثبت لها بالزواج في الإسلام والرجل في هذه الحال منتهز لرغبة المرأة في العفاف وتحصين نفسها.

ولا ريب أن الرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته، فأية مسؤولية تحملها مثل هذا الرجل إذ كيف يتسنى له الإشراف على تربية الأولاد وتعليمهم وحمايتهم من التشرد والضياع حيث لا تقوى الأم غالباً على متابعة أولادها في الشارع وفي المدارس، وغالباً ما يؤول هذا النوع من الزيجات إلى مفاسد وأضرار ولذلك إباحته مطلقاً قد تفضي إلى ذهاب مقصود الشارع من تشريع الزواج والأولى أن يضبط بضوابط متناسقة بحيث يلبي حاجة المجتمع مع الحفاظ على مقصود الشارع في الزواج وأن تكون الفتوى بإباحته مقتصرة على من احتاج إليه ولم يجد حلاً سواه ويجب اتخاذ الوسائل والإجراءات لمنع انتشاره في المجتمع بالرغم من عدم الجزم بحرمته أو بطلانه[٢].

* * * * *

المطلب الثالث:
نكاح المتعة

يحرف الشيعة آيات القرآن من أجل إثبات جواز نكاح المتعة فيروي شيخهم القمي في تفسيره ما نصه بالحرف: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ به منْهُنَّ - إلى (أجل مسمى) مزيدة وليست من القرآن - فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ قال الصَادق - حسب زعمهم: فهذه الآية دليل على المتعة، أي زادوا عبارة (إلى أجل مسمى) لإثبات باطلهم بإباحة نكاح المتعة، ويرون أن ذكر لفظ " الاستمتاع" بدلا من " الزواج"، ولفظ " الأجور" بدلا من" المهور" يدل على جواز المتعة، لأن الأجر غير المهر وإتيان الأجر بعد الاستمتاع، ولكن ما لا يجب إغفاله حتى نفهم مراد الآية الكريمة هو أن صدرها يتحدث عمن يباح نكاحهن من النساء المحصنات، وذلك بعد أن ورد في الآية التي قبلها المحرمات من النساء فكأن الآية إذن في النكاح، ومعناها فإذا استمتعتم بنكاح النساء ممن يحل نكاحهن فادفعوا إليهن مهورهن، والمهر في النكاح يسمى أجرا. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾[٣]، أي مهورهن، وكون المهر إنما يكون قبل الاستمتاع لا يعارضه باقي النص

(١) البقرة: من الآية ٢٢٨.
(٢) المغني ٩/ ٤٨٤.
(٣) الأحزاب: ٥٠.

لأنه على طريقة التقديم والتأخير وهو جائز في اللغة ويكون المعنى فآتوهن أجورهن إذا استمتعتم بهن أي إذا أردتم ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا ﴾[١] أي إذا أردتم القيام للصلاة. ولو كان نكاح المتعة مباحا في المجتمع الإسلامي إبان عهد النبي لصرح الله به في كتابه ولذكر مشروعيته، وفصل أحكامه كما هو حال الزواج من الحرائر والإماء، فمن غير المعقول أن يسكت القرآن عن هذا الأمر العظيم في حين ورد فيه ذكر نكاح الإماء ثماني مرات والله يعلم أن هذا النوع من الزواج سيزول بإلغاء الرق.

لو رجع المسلمون في كل أمر عظيم إلى كتاب الله عز وجل يثقون به ويطمئنون إلى حكمه ويكتفون به لما بقي بينهم خلاف. فلنجعل القرآن الكريم مرجعنا ووسيلة اهتدائنا في هذا الأمر الخطير الذي يتعلق بأخص خصائص الإنسان العربي المسلم: عرضه ونسله وشرفه.

مفتاح الاهتداء بالقرآن الكريم.

يقسم الله عز وجل آيات كتابه العزيز إلى قسمين:

١- آيات محكمات لا اشتباه فيها ولا احتمال.

٢- آيات متشابهات تحتمل أكثر من معنى.

ولقد ذكر الله عز وجل أن مرجعنا في المسائل الخطيرة هي الآيات المحكمات وحرم علينا اتباع غيرها من المتشابهات كما قال سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾[٢] ونحن امتثالاً لهذا التوجيه الإلهي سنجعل اعتمادنا على محكم القرآن الكريم دون متشابهه. وبهذا نضمن الوصول إلى بر الأمان بسلام. وسنجعل البحث في قسمين:

الأول: نكاح المتعة في القرآن الكريم

والثاني: نكاح المتعة في الروايات وفتاوى العلماء.

الأول: نكاح المتعة في القرآن الكريم

كان النكاح المؤقت موجوداً عند اليهود والفرس وغيرهم وقد تسرب إلى المجتمع الجاهلي في الجزيرة فلما جاء الإسلام حرمه أول عهده في مكة بقوله تعالى في القرآن الكريم

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) آل عمران: ٧.

الـذي نـزل مرتين: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾[١] يتبين من هذا النص المكي أن الأصل في الفروج الحرمة وأما التحليل فاستثناء لابد من ذكره فما سكت عنه فهو حرام، فقـولـه تعـالى: ﴿ هُـمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾[٢] هذا هو الأصل، أي الحرمة " إلاَّ " هذا هو الاستثناء ومحله: ﴿ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ ﴾.

هـذا هـو المستثنى من التحريم وهو نوعان من النكاح ماعداهما حرام، وحتى لا يدع الله عـز وجـل مجـالاً للاشـتباه أو الالتـباس نـص علـى حـرمة مـا عـداهما بقـولـه الـصريح: ﴿ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ فكـل فـرج دونهما حرام سـواء اسـتبيح بالـزنا أو بالمـتعة أو بالاستبـضاع . . . إلخ . هـذا في مكة، أي أن المسلمين لم يمارسـوا هـذا الـنكاح في العهد المكي لحرمته . ولما هاجروا إلى المدينة لم تذكر الآيات النازلة فـيها بخـصوص الـنكاح إلا النوعين الأولين الزواج الدائم ونكاح المملوكة باليمين (الأَمَة) . والمتمـتع بها ليست زوجة لعدم التوارث قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ... وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ... ﴾[٣] ولو كانت زوجة لورثت وأورثت .

انظر الآيات في هذين النوعين في (البقرة/ ٢٢١، النور/ ٣٢، ٣٣، الأحزاب/ ٥٠، ٥٢، النساء/ ٣ .

في سـورة الـنور قـال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ ﴾ - أي الذين لا أزواج لهم من الأحـرار - ﴿ وَالـصَّالِحِينَ مِـنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ - وهذا نكاح ملك اليمين ثم قال - ﴿ وَلْيَـسْتَعْفِفِ الَّـذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[٤] فأمـر من لا يجد زوجـة أو أمـة يـنكحها بالـصبر والعفـاف . وفـيه تحريم لما عداهما . فلو كانت المتعة حلالاً لذكـرها كـأن يقـول: (وليستمتع) لا أن يقول: (وَلْيَسْتَعْفِفِ) الذي يقتضي المنع لاسيما وأن الأصل في الفروج الحرمة .

وفي سـورة النـساء جـاء قولـه تعالى: ﴿ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَـاعَ ﴾ - وهـذا هـو الـزواج الـدائم ثم قال: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً ﴾ - أي

---

(١) المؤمنون: ٥ - ٧، المعارج: ٢٩ - ٣١ .
(٢) المؤمنون: ٥ .
(٣) النـساء: ١٢ .
(٤) النور: ٣٣ .

الحرائر - ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [١] فجعل مجال التخيير محصوراً في الإفراد ونكاح الأمة ولو كانت المتعة مشروعة لجعلها موضعاً للاختيار فهي حرام إذن .

ثم جاء قوله تعالى بعد ذكر محرمات النكاح: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ - إلى قوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم ﴾ [٢] وهذان هما الزواج الدائم وملك اليمين . ولو فسرنا الأول بنكاح المتعة لما بقي للزواج الدائم الذي هو الأصل في النكاح ذكر في الآيات! وهذا غير معقول وليس من سبب يلجئنا إلى القول به سوى ما اشتبه على البعض من لفظ ﴿ اسْتَمْتَعْتُم ﴾ وهو لا ينهض حجة لأنه متشابه .

لفظ ﴿ اسْتَمْتَعْتُم ﴾ متشابه .

إن الاستدلال بالقرآن الكريم على مشروعية نكاح المتعة لا يصح لأن الموضع الوحيد فيه الذي يحتجون به عليه لفظ متشابه وليس قطعي الدلالة محكماً .

إن استحلال الفروج في الإسلام مسألة عظيمة جداً لا يصح التساهل فيها أبداً بحيث يقبل فيها من الأدلة ما تشابه ، وبما أنه لا يوجد نص واحد في القرآن الكريم صريح الدلالة على نكاح المتعة فالقول بمشروعيته باطل لأنه إتباع للمتشابه .

معنى (الاستمتاع) لغة:

أصل الاستمتاع في اللغة التلذذ: والانتفاع وهذا قد يكون بالطعام كما في قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ ﴾ [٣] ومرة يكون باللباس كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ ﴾ [٤] ومرة يكون بالمال المدفوع إلى المطلقات: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [٥] ومرة يكون بالجماع كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ ﴾ أي جامعتم لأن الجماع أخص ما يتلذذ ويستمتع به . ولقد جاء لفظ (الاستمتاع) ومشتقاته في القرآن الكريم ستين مرة لا علاقة لواحد منها بنكاح المتعة كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ

---

(١) النساء: ٣ .
(٢) النساء: ٢٤ ، ٢٥ .
(٣) المائدة: ٩٦ .
(٤) النحل : ٨٠ .
(٥) البقرة: ٢٣٦ .

أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ ﴾[١] وقوله: ﴿ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾[٢] لأن السياق يأبى ذلك وكذلك سياق سورة النساء . ما معنى الآية إذن؟

للمهر أربعة أحوال:

١- إذا حصل الطلاق قبل الدخول ولم يحدد المهر فتعطى المرأة مبلغاً من المال بحسب حالة الزوج المادية كما قال تعالى: ﴿ لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ ﴾[٣] .

٢- إذا حصل الطلاق قبل الدخول وقد حدد المهر فمقداره النصف كما قال تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾[٤] .

٣- إذا حصل الطلاق بعد الدخول ولم يحدد المهر فتعطى مهر مثلها من النساء .

٤- إذا حصل الطلاق بعد الدخول وقد حُدد المهر فهنا يجب المهر المحدد كله كما قال تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾[٥] أي مهما كان الاستمتاع ولو بجماع واحد . والأجور هنا معناها المهور لأن الزواج عقد فيه أجر مقابل الاستمتاع بالمرأة والانتفاع بها كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾[٦] .

بل إن شيخ الطائفة الطوسي قال مسفهاً من قال أن المراد بالأجر للمتعة: " وفي أصحابنا من قال: قوله: يدل على إنه أراد المتعة لأن المهر لا يسمى أجراً بل سماه صدقة ونحلة وهذا ضعيف ، لأن الله سمى المهر أجراً في قوله: ﴿ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [النساء: ٢٥] ومن حمل ذلك كله على المتعة كان مرتكباً لما يعلم خلافه[٧]" .

---

(١) الأنعام: ٢٨ .
(٢) إبراهيم: ٣٠ .
(٣) البقرة: ٢٣٦ .
(٤) البقرة: ٢٣٧ .
(٥) النساء: ٢٤ .
(٦) الأحزاب: ٥٠ .
(٧) تفسير التبيان ٣/ ١٦٦ .

وكذا قال الشريف المرتضى من أعلام الشيعة وأشهرهم على الإطلاق في كتابه: " وفي أصحابنا من استدل على أن لفظة " استمتعتم " تنصرف إلى هذا النكاح المؤجل دون المؤبد بأنه تعالى سمى العوض عليه أجراً ولم يسم العوض على النكاح المؤبد بهذا الاسم في القرآن كله بل سماه نحلا وصداقاً وفرضاً وهذا غير معتمد لأنه تعالى قد سمى العوض عن النكاح المؤبد في غير هذا الموضع بالأجر في قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٠] وفي قوله تعالى: ﴿ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[١] .

وهكذا سقط الاحتجاج بالآية على نكاح المتعة لأنه احتجاج بمتشابه . وكذلك فإن سياق الآية يأباه وذلك من وجوه منها: إن الآيات لم تذكر إلا نوعين من النكاح:

١- نكاح الدائم.

٢- ملك اليمين.

وهذا المعبر عنه (بالاستمتاع) فإذا كان المقصود بالأخير نكاح المتعة فمعنى ذلك أن الزواج الدائم لا ذكر له في هذه الآيات وهذا غير معقول فلابد من حمل اللفظ عليه دون غيره .

إن الله عز وجل لما انتقل إلى ذكر ملك اليمين انتقل من الأصعب إلى الأسهل فقال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ منكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم ﴾[٢] وليس أصعب من نكاح الإماء إلا الزواج الدائم بالحرائر فإن نكاح المتعة أسهل أنواع الأنكحة فليس هو المقصود بالآية .

ما ذكر الله عز وجل من شروط لهذا النكاح في قوله: ﴿ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾[٣] ونكاح المتعة ليس القصد منه إلا سفح الماء وقضاء الشهوة وليس فيه إحصان أو حفظ للمرأة لا نفسياً ولا جسدياً ولا أسرياً ، وكذلك الرجل .

وهذا والله لهو نص صريح في المسألة ، إذ بالاتفاق أن المتعة لا تحصن .

خلو المجتمع الإسلامي النبوي من نكاح المتعة

لو كان نكاح المتعة يمارس في المجتمع الإسلامي على عهد النبي ﷺ لصرح الله عز وجل

---

(١) الانتصار للشريف المرتضى ص ١١٢ .

(٢) النساء: ٢٥ .

(٣) النساء: ٢٤ .

به في كتابه العزيز حتماً ولذكر مشروعيته أولاً ، وفصل أحكامه ثانياً كما هو الحال في الزواج من الحرائر والإماء .

ولا شك أنه لو كان مشروعاً لكانت ممارسته أكثر لسهولته فكيف يسكت القرآن الكريم عن هذا الأمر العظيم ويتكلم باستفاضة عن النوعين الآخرين وكلها مشتركة في معنى واحد هو النكاح؟! ونكاح الإماء مع ما فيه ذكره الله عز وجل في كتابه العزيز ثماني مرات ولا زالت الآيات المتعلقة بشرعيته وأحكامه تتلى . بل ذكر الله عز وجل ما هو أقل منه أهمية وخطراً كالخمر وذلك مراراً في القرآن الكريم وتدرج في تحريمه حتى انتهى منه . فكيف لا يذكر الله عز وجل نكاح المتعة وهو أخطر وأهم وأكثر وقوعاً وأعم بلوى؟!

إن هذا ليس له إلا تفسير واحد هو أن هذا النكاح كان محرماً على المسلمين فلم يمارسوه في مجتمعهم وذلك من أول الإسلام والمسلمون لازالوا في مكة المكرمة كما جاء ذلك صريحاً في سورة المؤمنون وسورة المعارج .

نكاح المتعة في الروايات وفتاوي الفقهاء:

أول ما ينبغي الوقوف عنده رواية ابن عباس رضي الله عنهما في جامع الترمذي أنه قال: (إنما كانت المتعة في أول الإسلام ، كان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم فيها فتحفظ له متاعه وتصلح له شأنه حتى إذا نزلت الآية: ﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ... ﴾ [المؤمنون: ٦] فكل فرج عدا هذين فهو حرام [١] .

وفي هذه الرواية أن المتعة حرمت في بداية الإسلام وأنها من أمور المجتمعات الجاهلية المشركة .

وهذا يعني خلو المجتمع النبوي من نكاح المتعة . وإلى هذا أشار الإمام النووي في شرح مسلم والسرخسي في المبسوط والشيخ مخلوف في صفوة البيان وغيرهم .

قال العلامة شمس الدين السرخسي: (بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه أحل المتعة ثلاثة أيام من الدهر في غزاة غزاها اشتد على الناس فيها العزوبة ثم نهى عنها فلم يبق بعد مضي الأيام الثلاثة حتى يحتاج إلى دليل النسخ)[٢] .

وعلى هذا أجمعت الأمة كما نقل ذلك الجصاص في أحكام القرآن ، والقاضي عياض

---

(١) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي٤/ ٢٦٩ .
(٢) المبسوط١٥٢/ ٥ .

والخطابي[١] .

جميع الروايات الأخرى ليس فيها إلا الترخيص ثلاثة أيام فقط: مرة في خيبر ثم حرمها النبي ﷺ إلى يوم القيامة وما من شك في أن خيبر لم يكن فيها مسلمات في ذلك الوقت فالتمتع كان بنساء يهود أو المشركات وليس مع المسلمات في المجتمع المسلم . ولقصر المدة ولكونه خارج المجتمع المسلم لم ينزل فيه قرآن .

وقد فهم ابن عباس رضي الله عنهما أن الرخصة باقية للمضطر فعارضه كبار الصحابة ولم يعتبروا فتواه وأنكروا عليه بشدة كعلي بن أبي طالب عليه السلام حتى قال له: " إنك رجل تائه نهانا رسول الله ﷺ عن متعة النساء يوم خيبر[٢]" .

وكذلك أنكر عليه عبد الله بن عمر رضي الله عنه ونقل الترمذي والبيهقي والطبراني أنه رجع عن فتواه أخيراً مع أن ابن عباس رضي الله عنهما لم يحكم بإباحتها وإنما قال هي كالميتة للمضطر وهذا يعني تحريمها عنده .

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: "لما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس فقال: إن رسول الله أذن لنا في المتعة ثلاثاً ثم حرمها . والله لا أعلم أحداً يتمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة إلا أن يأتيني بأربعة يشهدون أن رسول الله ﷺ أحلها بعد إذ حرمها" [٣] . وفيها أن عمر رضي الله عنه لم يحرم المتعة من عند نفسه وإنما نقل التحريم عن الرسول ﷺ نفسه . وأنها كانت لثلاثة أيام فقط ثم حرمت لا أنها كانت طيلة العهد المدني إلى خيبر كما هو شائع خطأً .

فالذي يتبين لنا أن الزيدية تحرمه وكذلك الإسماعيلية وهم يتبعون أهل البيت ، وقبلهم أهل السنة .

الروايات الأخرى في تحليلها عن الأئمة مكذوبة لتعارضها مع القرآن الكريم والسنة وإجماع الصحابة وفقهاء الأمة ومنهم فقهاء أهل البيت ولضعف أسانيدها .

استنطاق تاريخ الأئمة

لا يعرف أن أحداً من أهل البيت - علمائهم وعامتهم وعلى مدى تاريخهم لاسيما في القرون الثلاثة الأولى - كان ابن متعة ، ولو كانوا يبيحونها أو يوجبونها لفعلها الكثير منهم

---

(١) أحكام القرآن: ٢/ ١٥٣ ، المعلم: ٢/ ١٣١ ، شرح صحيح مسلم للنووي: ٩/ ١٨١ ، فتح الباري: ٩/ ٧٨ .
(٢) مسلم بشرح النووي٩/ ١٨٩ .
(٣) ابن ماجه رقم ١٩٦٣ ، ومسند الإمام أحمد: ١٣/ ٥٥٢ .

ولأنجبوا لهم بنين وبنات ، وبما أن هذا غير حاصل - إذ لا تذكر كتب الأنساب من أمهاتهم إلا النوعين: الزوجة الحرة الدائمة أو الأمة - فهذا دليل قطعي على عدم فعلها من قبلهم وهو يستلزم تحريمهم إياها بلا شك ، فليُستنطق تاريخهم بكل وضوح وبساطة ليتبين موقفهم العملي من المتعة! ، وبه يتبين كذب جميع الروايات المنقولة عنهم بإباحتها ولله الحمد .

والعجيب أن علماء الإمامية يخالفون هذا كله ، بل سئل محمد محمد الصدر عن نكاح المتعة فأجاب:

مسألة (١٧٣): " هذا من ضروريات المذهب . ومن ينكره فإنما كأنه خرج من التشيع إلى التسنن أو أي ملة أخرى ودان بغير ما أنزل الله عز وجل بعد كونه منصوصاً في كتابه الكريم

وأخيرا لم تسلم الطفلة الصغير والرضيعة المسكينة من هذا الظلم فقال آية الله الخميني " لا بأس بالتمتع بالرضيعة ضماً وتفخيذاً - أي يضع ذكره بين فخذيها - وتقبيلاً ، وكذا أفتى بجواز مفاخذة الرضيعة المسكينة كل من الكلبايكاني ولطف الله الصافي [1] ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الخلاصة:

١- ليس في القرآن الكريم إلا تحريم نكاح المتعة .

٢- خلو المجتمع النبوي المسلم من نكاح المتعة أما الترخيص فيه فكان لثلاثة أيام في خيبر وهي خارج المجتمع المسلم .

٣- أجمع الصحابة على تحريمها بما فيهم علي وابن عباس رضي الله عنهما .

٤- أجمع فقهاء الأمة على تحريمها بما فيهم أهل البيت وهم الذين لم يكن لهم ولا لبقية أهل البيت أبناء من المتعة .

٥- إن نكاح المتعة حرم منذ الأيام الأولى من عمر الإسلام وإن تحريمه مستمر إلى يوم القيامة ولا دليل على إباحته قط إلا المتشابهات أو المكذوب من الروايات .

كيف تستطيع أمة تحترم شرف الأمهات اللواتي جعل الله - سبحانه وتعالى - الجنة تحت أقدامهن وهي تبيح المتعة وتعمل بها .

ويقصد بالمتعة الزواج المؤقت الذي تعمل به الشيعة الإمامية وهو ليس إلا أكثر من

---

(١) [تحرير الوسيلة آية الله الخميني ٢/ ٢٤١ مسألة رقم ١٢] .

إباحه الجنس بشرط واحد فقط وهو أن لا تكون المرأة في عصمة رجل وحينئذ يجوز نكاحها بعد أداء صيغة الزواج التي يستطيع الرجل أن يؤديها في كلمتين ولا تحتاج إلى شهود أو إنفاق عليها وللمده التي يشاؤها مع الاحتفاظ بسلطة مطلقة لنفسه وهو الجمع بين ألف زوجة بالمتعة تحت سقف واحد.

الفرق بين الزواج الشرعي والزواج عند الشيعة الإماميـــة:

شروط الزواج:

الزواج الدائم المتفق عليه لدى المسلمين كافة:

١- يتم الزواج بين الزوجين بتلفظ صيغة العقد أمام شاهدين.

٢- يجب على الزوج نفقة الزوجة بما فيها المسكن والملبس.

٣- لا يجوز لـه أن يجمع أكثر من أربعة أزواج وبشروط صعبة.

٤- الزوجه ترث الزوج في حالة الوفاة.

٥- موافقة الأب شرط في صحة زواج الباكر.

٦- مدة الزواج الدائم ديمومة الزوجين على قيد الحياة.

الزواج المؤقت المتفق عليه عند الشيعة الإمامية فقط:

١- يتم الزواج بتلفظ صيغة العقد بدون شاهد.

٢- الرجل في حل من نفقة الزوجة

٣- يجوز لـه الجمع بين أعداد لا تحصى وبلا شرط.

٤- الزوجه لا ترث الزوج.

٥- موافقة الأب ليس شرطاً في كل الأحوال.

٦- مدته قد تكون ربع ساعة أو عاما كاملا.. وحسب ما يقترحه الرجل وتقبله المرأة.

شـــروط الفســـــخ:

عند المسلمين:

١- يقع الطلاق بحضور شاهدين عدلين وبتلفظ صيغة الطلاق.

٢- عدة الطلاق ثلاثة شهور وعشر أيام.

٣- الطلاق لا يقع إذا كانت المرأة في حالة قرء .

٤- يجب على الزوج نفقة الزوجة المطلقة في مدة عدتها .

عند الشيعه الإمامية:

١- يقع الطلاق واسمه فسخ العقد بدون حضور شاهدين وبكلمة فسخت أو وهبت المدة .

٢- عدة فسخ المدة هو عدة الجارية بعد عتقها أي نصف عدة الحرة .

٣- الفسخ يقع في كل الأحوال .

٤- الرجل في حل من نفقة الزوجة في عدة الفسخ .

إن فكرة الزواج المؤقت على ما يبدو استخدمت في حث الشيعة ولا سيما الشباب منهم للالتفاف حول المذهب لما فيها من امتيازات خاصة لا تقرها المذاهب الاسلامية الأخرى . ولا أشك أن الغراء الجنسي المباح باسم الدين يستقطب الشباب وأصحاب النفوس الضعيفة في كل عصر ومصر .

* * * * *

المطلب الرابع :
وبعد : أختاه... هل هذا يصدقه عاقل؟؟!!!

الزواج على الطريقة العنكبوتية!!

أحبه جدًا . . لقد ملك قلبي . من؟ "فلان" . . حبيبي . ومن "فلان"؟!

تعرفت عليه من خلال الماسينجر . . يقول: أنا معجب بأدبك ودينك .

وكيف عرف أدبك ودينك؟

من الماسينجر . . إنه محترم جدًا وعلى خلق . . ويتمتع بذوق عالٍ . . ولديه أموال وشركات وعقارات . .

وكيف عرفت أنه محترم وعلى خلق ولديه شركات وعقارات؟!!

من الماسينجر . . إنه صريح جدًا معي!!

وكيف تأكدت من صراحته؟!! . . . نعم . . نعم بالتأكيد من الماسينجر!!

التطورات التقنية في حياتنا - والتي كان لها بالغ الأثر في توجيه الشعوب الإسلامية إلى الوجهة التي تريدها ؛ نظرًا لأنها مستوردة ، وغير خاضعة لتطويعنا ورقابتنا الشرعية ، شئنا

ذلك أم أبينا - تسير بنا نحو منحى خطير للغاية ، فالثقافة العربية عامةً قد صبغت بهذه الصبغة العنكبوتية "الإنترنت" ، وتأثرت بها أيما تأثُّر ، فصارت الحياة - والتي من أهم عوامل بقائها الأسرة والزواج - خاضعة لاختيارات ومواصفات فتيان الماسينجر وفتيات الشات .

الكلام الذي بدأنا به ليس من نسج الخيال ، ولا من حواديت النساء ؛ بل هو واقع وحقيقة ، تحدثت به فتاة ترجو النصح ، وترغب في حل لهذا المأزق الذي وضعت فيه نفسها ؛ فقد حدث معها ما يتكرر كل يوم مئات المرات ؛ مع مئات الفتيات في جميع أرجاء المعمورة ، وهي لا تدري أهذا الشاب صادق في كلامه أم كاذب ، وهل بالفعل يرغب في الزواج بها أم أن كلامه مجرد نزوة يضيع فيها الشاب وقته ويفرغ فيها شحنته العاطفية ، وأتركها تروي قصتها بنفسها مع بعض التصرف مني: "تحدث إليّ الشاب وبدأ التعارف ، وكان الأمر في البداية لا يعدو كونه حديثًا في الأمور الدينية البحتة ، أو تناصحًا لتكميل أساسيات الدين ، وكان كلما أكثر هو في الكلام تعلق به قلبي أكثر وأكثر . . حتى جاء في مرة وصرّح لي بحبه ؛ بسبب أخلاقي الحسنة ولأنني أهتم بديني - هكذا زعم" .

تقول الفتاة: "أحسست أنه إنسان مهذب ومحترم ، وعلى قدر من الالتزام ، وصرنا نتحدث كل يوم حتى ارتبطت به ارتباطًا عاطفيًا شديدًا ، ولا أستطيع الآن منع نفسي من التفكير فيه ، ولا أدري هل ما فعلت صحيح أم غير صحيح" .

أقول: هذه هي النتيجة الحتمية لمثل هذه اللقاءات . . التعلق القلبي الشديد . . فكل من الطرفين يتحدث مع شخص لا يعرف عنه إلا ما يريد الطرف الآخر أن يظهره . . فقد تكون المسكينة قد وقعت في براثن ذئب بشري مغرق في التمثيل والنصب وهي لا تدري ؛ فهو لا يُظهر لها سوى الكلمات البراقة والعبارات المنمقة الجذابة و"الأخلاق الحسنة" و"الالتزام بالدين" كما ذكرت هذه الفتاة ، أما ما هو متصل بحياته - الحقيقية - وشكله وطوله وصفاته الخَلْقِية والخُلُقِيّة . . كل ذلك لا يعدو كونه "مجهولاً" .

والنفس الإنسانية شغوفة بذلك المجهول . . تحبه . . تعشقه . . تتعلق به . . حتى وإن كان هذا المجهول وهمًا أو سرابًا ، وإنما تتكون لديها راحة نفسية مؤقتة تعتري القلب بتعلقها وانتمائها إلى ذلك المجهول .

كل من الطرفين "الشاب والفتاة" ترتسم في ذهنيهما صورة مثالية لهذا القادم الجديد المجهول . . وسيم . . جميلة . . طويل . . قوامها فتان . . بيضاء . . متدين . . لا يتلفظ إلا بالحسن من الألفاظ والمقالات . . تحب تربية الأبناء وتقدّس الحياة الزوجية . . .

ولا يدري كل منهما أنهما قد وقعا فريسة سهلة للشيطان . . يلعب برأسيهما . . ويزين لهما المعصية في لباس جميل مطرز باللؤلؤ والذهب . . فإذا نُزع هذا الغطاء فإذا بفاحشة الزنا قد لاحت في الأفق عيادًا بالله ، أو على أقل تقدير صدمة عاطفية عنيفة للفتاة خاصة ؛ لأنه لم يقبل الزواج منها بعدما رآها ؛ فهي لم تكن على الصورة التي تخيلها ، حتى وإن كانت مقبولة الشكل .

وتلك هي المصيبة الكبرى ؛ فالفتاة تعلقت بوهم هي التي رسمته وبالغت في مدحه والثناء عليه ، حتى أصبح في عقلها اللاواعي حقيقة مطلقة ومسلّمة لا تقبل الجدال ولا النقاش ، ومعروف أن تكرار عرض الصور على المخ - حتى وإن كانت غير حقيقية - يسهم بقدر كبير في تثبيتها كحقائق غير قابلة للزعزعة أو الاضطراب .

إن العلاقة بين الشاب والفتاة على هذا النحو في غرف الدردشة أو الشات أو على الماسينجر لا تصح بأي حال من الأحوال ، إلا لاستشارة أو استفتاء - بحسب ما ذكره أهل العلم - أما فتح الباب على الغارب لكل من هبّ ودبّ ليتجاذب أطراف الحديث ويمزح ويضحك ويروّح عن نفسه ويفرغ شحنته العاطفية . . . فكل هذا لغو وباطل . . وما بني على باطل فهو باطل . .

فعلاقة كهذه يصعب أن يكتب لها البقاء والاستمرارية مادامت مبنية منذ بدايتها على مخالفة شرعية . . فما أدراني بأن الفتاة لم تتحدث مع غيري ولم تتعلق به كما تعلقت بي . . وما أدراني أنها لن تتعلق بغيري في المستقبل بسبب حديثه المنمق وكلامه المعسول . . هكذا يقول . . وتبدأ خيوط الشك والريبة تدب بين الشخصين ، الأمر الذي يتسبب في فشل العلاقة الزوجية التي نشأت بينهما ، هذا على افتراض حسن نية الشاب ورغبته في الزواج .

فيا كل فتاة تؤمن برفعة الزواج ورسالته ودوره في المجتمع . . للزواج أسس ومعايير وأركان لابد أن ينبني عليها ، وأهمها المعاينة المباشرة ، فلا يكفي بأي حال من الأحوال سماع أحدكما لصوت الآخر ، أو قراءة ما يكتبه ، أو حتى مشاهدته على "الويب كاميرا" ، بل ينبغي على كل منكما المعاينة المباشرة والرؤية الحالية . وأيضًا أن يسلك الخاطب المسلك الشرعي لطلب الزواج . . لا أن يتلصص بالالتفاف حول أبيك وإخوتك كما اللص الذي ينتهك الحرمات ويسرق أعز ما في البيت . .

فلتنتهِ هذه المهزلة الآن . . ولتنأي بنفسك عن مواطن الفتن . . فالمرأة المسكينة - خاصة

المراهقة - تسيّرها عاطفتها، وغالبًا ما تغلب العاطفة فيها العقل؛ فتفكر وتزن الأمور بقلبها لا بعقلها، وليس ذلك لنقص فيها، بل تلك هي فطرتها التي فطرها الله بها لحكمة رفيعة سامية، وهي تربيتها لأولادها وخوفها عليهم.. وللأسف يستغل الشباب الفاسدون هذه الفطرة فيها ليغرروا بها ويفسدوها..

فلتُنهِ هذه العلاقة فورًا.. حتى وإن كان في ذلك ألم نفسي عليك.. فلابد أن تتجرعي مرارة الدواء.. حتى لا تصابي بعضال الداء.. وتصبّري وتذكّري قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] قال الأوزاعي: "ليس يوزن لهم ولا يكال؛ وإنما يغرف لهم غرفًا". نسأل الله السلامة والسداد في الأمور كلها.

أما مواقع التزويج المنتشرة على الشبكة، فأرى أن يقتصر دورها - بعد التأكد من صدقية المشتركين بها والباحثين عن الزواج، وذلك بفرض التزامات صارمة على المشتركين لضمان الجدية وعدم التلاعب - أرى أن يقتصر دورها على مجرد التوفيق بين الباحثين ليقابل كل منهما الآخر ولا يكتفيان بمجرد التعارف على الشات أو الماسينجر، فإن افترضنا صحة نية الطرفين فلن نضمن الكذب أو التدليس من أحدهما سواء في الشكل أو الأخلاق أو الإمكانات المادية... أو غيره، وقد يحدث تعلق قلبي من خلال المحادثة دون أن يكون أحدهما مناسبًا للآخر، وهذا ليس قدحًا في تلك المواقع ولا تخوينًا لها، ولكن أخذًا للاحتياط؛ فإن بعض من يدخلونها قد يتخذونها مطية لتكوين علاقات آثمة مع الطرف الآخر..

* * * * *

المطلب الخامس:
أختاه..... عودي إلى القدوة

تربية الرسول ﷺ لبناته رضي الله عنهن:

أجمع المؤرخون أن للنبي - ﷺ - أربع بنات كلهن أدركن الإسلام، وهاجرن هن: فاطمة عليها السلام، ولدت قبل النبوة بخمس سنين، وزينب تزوجها العاص بن الربيع - رضي الله عنه - ورقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان بن عفان - رضي الله عنه - تزوج أم كلثوم بعد وفاة رقية.

و الحكمة من أن النبي - ﷺ - أباً للبنات - الله أعلم بها - ويرجعها البعض لأسباب:

منها: أن البنت في عُرف العرب قبل الإسلام عار يستحق الدفن حياً قال الله

تعالى: ﴿ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[١] .

جاء في تفسير هذه الآية: بأن الكظيم هو الكئيب من الهم، ويمسكه على هون: أي يبقى البنت مهانة لا يورثها ولا يعتني بها ويفضل أولاده الذكور عليها .

فشاء الله أن يكون النبي محمد - ﷺ - أباً لبنات ليكون القدوة للمؤمنين فيما ينبغي للبنت من حقوق ومكانة لائقة أقرها لها الدين الإسلامي الحنيف .

فأبوة الرسول - ﷺ - لبناته حدثاً جديداً في حياة المرأة، وفي هذا قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ماأنزل وقسم لهن ما قسم .

ومنها: أيضاً - والله أعلم - (حتى يكون النبي - ﷺ - بعيداً عن تهمة الاستنصار بالولد، والاعتماد عليه) كما هي عادة العرب في ذلك الوقت . بل أن ما جاء به من دين نُشر في الأرض لأنه هو الحق ولا حق سواه، والحق دائماً أظهر وأقوى .

وقد كان العربي في الجاهلية يترقب الأولاد للوقوف إلى جانبه ومساندته، والدفاع عن الحوزة وحماية البيضة، أما البنت فكان التخوف من عارها يحملهم على كراهتها حتى بعث الله نبينا محمد - ﷺ - بالدين الإسلامي خاتم الأديان الذي ارتضاه الله عزَّ وجل لعباده قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾[٣] .

فحفظ الإسلام للبنت حقوقها وأنزلها المنزلة اللائقة بها ووعد من يرعاها ويحسن إليها بالأجر الجزيل وجعل حسن تربيتها ورعايتها والنفقة عليها سبب من الأسباب الموصلة إلى رضوان الله وجنته، جاء في الحديث عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**من عال جارتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين**» وضم أصابعه[٤] .

يلاحظ في هذا الحديث أن النبي - ﷺ - ضم أصابعه، ولم يفرق بينهما كناية عن شدة قرب من عال جارتين من الرسول - ﷺ - في الجنة . وفي الحديث الآخر عن عائشة - رضي

---

(١) النحل: ٥٨ .
(٢) آل عمران: ٨٥
(٣) المائدة: ٣ .
(٤) أخرجه مسلم .

الله عنها - قالت: "دخلت عليّ امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي - ﷺ - علينا، فأخبرته فقال: «**من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن لـه سترا من النار**» أي حجاباً ووقاية من النار [١].

أيُّ فضل أعظم من هذا الفضل! وأيُّ أجر أعظم من هذا الأجر!.

وعلى الرغم من هذا الأجر العظيم الوارد في فضل تربية البنات والإحسان إليهن إلاَّ أن هناك من الناس من لا يُسر لمولد البنت - والعياذ بالله - فيظهر الهمّ والحزن! وما هذا إلا جهل واعتراض على قدر الله، والبعض يفرط ويقصر في تربية وتوجيه بناته ولا يرعاهن الرعاية المطلوبة منه.

ولو أن الإنسان تفقه في دين الله ووقف عند حدوده واقتفى أثر الرسول - ﷺ - في كل أمر من أمور حياته لعاش مطمئناً مرتاح البال قرير العين، ولعرف كيف يعبد ربه وكيف يتعامل مع إخوانه، وأهله، وزوجته، وكيف يربي أولاده فالحمد لله أنه ما من خير إلاَّ ودلنا ديننا الإسلامي الحنيف عليه وما من شر إلاَّ وحذرنا منه.

تربية النبي - ﷺ - لبناته في مرحلة الطفولة: من هديه - ﷺ - في تربية بناته في مرحلة الطفولة أنه كان يُسَّر ويفرح لمولد بناته رضي الله عنهن فقد سُرَّ واستبشر - ﷺ - لمولد ابنته فاطمة رضي الله عنها وتوسم فيها البركة واليمن، فسماها فاطمة، ولقبها بـِ (الزهراء) وكانت تكنى أم أبيها.

وفي هذا درس عظيم من دروس السيرة النبوية بأن من رزق البنات وإن كثر عددهن عليه أن يظهر الفرح والسرور ويشكر الله سبحانه وتعالى على ما وهبه من الذرية، وأن يعزم على حسن تربيتها، وتأديبها، وعلى تزويجها بالكفء "التقي" صاحب الدين حتى يظفر بالأجر الجزيل من الله. ففاطمة - رضي الله عنها - كانت البنت الرابعة للنبي - ﷺ -، وهي أصغر ذريته - ﷺ -.

وفي مرحلة الطفولة يلزم الأبوين الاهتمام بالطفل وتوفير كافة الاحتياجات الخاصة بهذه المرحلة، الحاجات الجسمية والنفسية؛ وبالذات الأم فعليها تقع المسؤولية الكبرى في رعاية أولادها في مرحلة الطفولة فهم أكثر ما يكونون التصاقاً بها وقد حرصت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - على تربية ورعاية أولادها منذ ولادتهم (وكانت إذا

---

(١) متفق عليه.

ولدت ولداً دفعته إلى من يرضعه في البادية حتى ينشئوا على الفصاحة والشجاعة كما كانت عادة قريش ، لا كما يفعله بعض الأمهات في زماننا من دفع أولادهم إلى الخادمات والمربيات الأمر الذي قد يحصل معه خلل في عقيدة الطفل وسلوكه .

وفي هذه المرحلة - مرحلة الطفولة - يجب على الأبوين أن يلقنا البنت مبادئ الإسلام ، والعقيدة الصحيحة ، وتلاوة القرآن الكريم ، والصلاة ، والتعوّد على لبس الحجاب حتى تنشأ البنت على ذلك منذ نعومة أظفارها .

رعاية النبي - ﷺ - لبناته في مرحلة الصبا . . وإذا كبرت البنت قليلاً وجب على والديها أن يعلماها حقوق الله سبحانه وتعالى ، وحقوق الوالدين ، وحقوق الآخرين وحسن الخلق وحسن التصرف في شتى الأمور ، وعلى المحافظة على لبس الحجاب والتستر والبعد عن أعين الرجال حتى تنشأ البنت على التربية الإسلامية الصحيحة تعرف ما يجب لها وما يجب عليها .

مع الأخذ في عين الاعتبار إعدادها لما هو منتظر منها من دور هام في الحياة بأن تكون زوجة صالحة ، وأماً حانية تربي أولادها وتعدهم لأن يكونوا صالحين مصلحين ؛ "لأن للمرأة المسلمة أثراً كبيراً في حياة كل مسلم ، فهي المدرسة الأولى في بناء المجتمع الصالح ، وخاصة إذا كانت هذه المرأة تسير على هدى من كتاب الله في كل شيء .

وإذا قربت البنت من سن البلوغ (التكليف) يجب أن تدرب على أن تكون زوجة ، وأماً وهذه هي سنة الله في خلقه وعلى الأم تقع مسؤولية ذلك ، فقد بادرت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - بتمرين ابنتها الكبرى زينب - رضي الله عنها - عندما كبرت على المشاركة في أعمال البيت والتدريب على الأمومة فكانت (زينب) لشقيقتها الصغرى فاطمة أماً صغيرة ترعى شؤونها وتمضى فراغها في ملاعبتها .

إن الفتاة المتعلمة المهذبة فخر لأهلها وعون لبعلها ، وكمال لبنيها ، أهلها بها يفتخرون ، وأولادها بها يسعدون ، ومن ذا الذي لا يسرّ فؤاده بابنته الأديبة التي تدبر الأمور المعاشية بالمعرفة ، وتدير الحركة المنزلية بالحكمة ، ويجد في مجالستها أنيساً عاقلاً وسميراً كاملاً .

تزويج النبي - ﷺ - لبناته:

الزواج سنة من سنن الله في خلقه ، وأمر مرغوب فيه حثّ إليه ديننا الحنيف ودعى إليه قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ

مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيات لقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾[٢] وامتثالاً لأمر الله عز وجل وأمر رسوله - ﷺ - يجب على الأب أن يزوج بناته ولا يعضلهن ويمنعهن من الزواج لأي سبب من الأسباب فواجب الأب أن يزوج ابنته وأن يختار لها الكفء من الرجال والكفء معروف هو صاحب الدين والخلق قال النبي - ﷺ - : «**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[٣].

وقد زوج النبي - ﷺ - جميع بناته من خيرة الرجال: فزوج زينب - رضي الله عنها - من أبي العاص بن الربيع القرشي - رضي الله عنه - وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد وأبو العاص كان من رجال مكة المعدودين مالاً ، وأمانة ، وتجارة .

وقد أثنى النبي - ﷺ - على أبي العاص بن الربيع في مصاهرته خيراً وقال: "حدثني فصدقني ، ووعدني فوفى لي" وكان قد وعد النبي أن يرجع إلى مكة ، بعد وقعة بدر ، فيبعث إليه بزينب ابنته ، فوفى بوعده ، وفارقها مع شدة حبه لها .

ومما يدل على شهامته وصدقه قصة إسلامه - رضي الله عنه - فقد كان في تجارة لقريش إلى الشام وفي طريق عودته إلى مكة المكرمة لقيته سرية فأخذوا ما معه ، وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب - وقد كانت في المدينة وفرق بينهما الإسلام فهو لم يدخل في الإسلام بعد - فاستجار بها فأجارته وخرجت والنبي - ﷺ - صلى بالناس الفجر فقالت: "أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع" فلما سلم الرسول - ﷺ - أقبل على الناس فقال: «**أيها الناس هل سمعتم الذي سمعت؟**» قالوا: "نعم" قال: «**أما والذي نفسي بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم وأنه يجير على المسلمين أدناهم**» ثم انصرف رسول الله - ﷺ - فدخل على ابنته زينب فقال: «**أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له**» قال: وبعث - ﷺ - فحثهم على رد ما كان معه فردوه بأسره لا يفقد منه شيئاً فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مكة فأعطى كل إنسان ما كان له ثم قال: يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: "لا فقد وجدناك وفياً" . قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والله ما منعني عن الإسلام عنده إلاَّ تخوف أن يظنوا أني

(١) الروم ٢١ .
(٢) النحل٧٢ .
(٣) أخرجه الترمذي .

إنما أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت .

وقد زوجه النبي - ﷺ - من ابنته زينب عندما طلبت منه أمها خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - أن يزوجها له فوافق النبي - ﷺ - على طلبها ، لما يعرف من رجاحة عقلها وثقتها بابن أختها فكانت تعده بمنزلة ولدها .

وهنا درس نبوي كريم في تزويج البنات هو أنه لا مانع من أخذ رأي والدة البنت والتشاور معها ففي ذلك إكراماً لها واعترافاً بحقها .

وزوَّج النبي - ﷺ - رقية من عثمان بن عفان - رضي الله عنه - الخليفة الراشد الزاهد الجواد السخي الحيي ، وكان من أبرز أخلاقه وأشدها تمكناً من نفسه خلق الحياء ، الذي تأصل في كيانه ؛ لذا فقد أشاد الرسول - ﷺ - بهذا الحياء الواسع العميم فقال: «**إن عثمان رجلٌ حييّ**» ، وقال - ﷺ : «**ألاَّ أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»[1] .

وكان النبي - ﷺ - يحبه كثيراً فلما توفيت رقية - رضي الله عنها - زوجه النبي - ﷺ - بأختها أم كلثوم ولما ماتت أم كلثوم قال النبي - ﷺ - : «**لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان**» .

وزوَّج فاطمة - رضي الله عنها - من علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ابن عمه - ﷺ - وكان أول من آمن برسول الله - ﷺ - من الصبيان ، وكان قد تربى في حجر الرسول - ﷺ - قبل الإسلام ولم يزل علي مع رسول الله - ﷺ - حتى بعثه الله نبياً .

يقول ابن كثير رحمه الله: "كان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله - ﷺ - لعمه العباس ، وكان من أيسر بني هاشم: "يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق حتى نخفف عنه من عياله" ، فأخذ رسول الله - ﷺ - علياً فضمه إليه ، فلم يزل مع رسول الله حتى بعثه الله نبياً فاتبعه علي وآمن به وصدقه" .

و البنت أمانة في بيت والديها ولابد أن تنتقل إلى بيت زوجها يوماً ما ، وقد أوجب لها ديننا الإسلامي الحنيف حق الاستئذان في الزواج فلا يحل لوليها أن يعقد لها على رجل تكرهه قال النبي - ﷺ -: «**لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولاتنكح البكر حتى تستأذن**» . قالوا: يا رسول الله ، وكيف إذنها؟ قال: «**أن تسكت**»[2] .

---

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه البخاري .

فكلمة تستأمر في حق الثيب تفيد طلب الأمر فلا يعقد عليها إلاَّ بعد طلب أمرها وإذنها بذلك، وكلمة تستأذن في حق البكر تعني طلب إذنها وموافقتها على النكاح، وإذا عقد الأب لابنته وهي كارهة فالعقد مردود "عن خنساء بنت خدام الأنصارية: أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك، فأتت رسول الله - ﷺ - فرد نكاحها [١].

و كان النبي - ﷺ - يستشير بناته قبل تزويجهن فعندما خطب علي - رضي الله عنه - فاطمة - رضي الله عنها - قال لها الرسول - ﷺ -: «**إن علياً يذكرك**» فسكتت فزوجها[٢].

وهنا يجب على الآباء أن يتأكدوا من موافقة البنت قبل إجراء العقد لها.

ويخطئ بعض الآباء من ترديد كلمة نحن أعلم بمصلحتها - لا شك - أن الأب يفوق ابنته في الخبرة، وطول التجربة في الحياة، ومعرفة الرجال ولكن على الرغم من ذلك يجب عليه أن لا يحيد عن تعاليم الإسلام، ولا يجبر ابنته على رجل تكرهه بل عليه أن يستأذنها ويعرف رأيها قبل إجراء عقد النكاح، وفي ذلك خير كبير حيث تشعر البنت بكيانها وأهميتها وتبدى رأيها في الرجل الذي ستنتقل إلى بيته وهو أدعى لدوام السعادة والوفاق لاقتناع كل من الطرفين بصاحبه فالزوج أباح له الإسلام النظر إلى من ينوى نكاحها، وهي كذلك تراه وتستشار في الموافقة على إجراء العقد وهذه من عظمة ديننا الإسلامي الحنيف.

صداق بنات النبي ﷺ:

والصداق في الزواج حق من حقوق الزوجة يدفعه لها الزوج قال الله تعالى: ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** ﴾ [النساء: ٤] وسنة النبي - ﷺ - وهديه عدم التغالي في الصداق، بل إن خير الصداق أيسره، قال الإمام ابن القيم - يرحمه الله -: "إن المغالاة في المهر مكروهة في النكاح، وأنها من قلة بركته وعسره" فقد زوَّج النبي - ﷺ - بناته على اليسير من الصداق فبعد أن تمت الموافقة على زواج علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - من فاطمة حُب رسول الله - ﷺ - وأصغر بناته جاء إلى النبي - ﷺ - فسأله النبي: «**ما تصدقها؟**» فقال علي: "ما عندي ما أصدقها" فقال الرسول - ﷺ - : «**فأين درعك الحطمية التي كنت قد منحتك؟**» قال علي: "عندي". قال النبي - ﷺ - : «**أصدقها إياها**» فأصدقها وتزوجها وكان ثمنها أربعمائة درهماً[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات.

هذا هو صداق بنت رسول الله - ﷺ - وحبه وأصغر بناته سيدة نساء أهل الجنة .

وما يفعله بعض الناس في زماننا من التغالي في المهور هو أبعد ما يكون عن هدي رسول الله ﷺ وهو أمر خطير له أضراره على الفرد وعلى المجتمع والدين الإسلامي دين اليسر والسهولة .

وفي أمر الزواج لا يقتصر اليسر على الصداق بل يمتد إلى الوليمة التي يُشهر بها الزواج وهي أمر دعى إليه الإسلام وحثَّ عليه فكان النبي - ﷺ - يولم في زواجه باليسير من النفقة ، فعن صفية بنت شيبة قالت: "أولم النبي - ﷺ - على بعض نسائه بمدين من شعير" .

وكذلك في زواج أصحابه رضي الله عنهم فعن أنس - رضي الله عنه -: "أن النبي - ﷺ - رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة ، قال: «**ما هذا؟**» قال: "إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب" ، قال: «**بارك الله لك، أولم ولو بشاة**»[1] .

وفي زواج بناته رضي الله عنهن كذلك مظهر من مظاهر اليسر في الوليمة ففي ليلة زواج فاطمة رضي الله عنها قال الرسول - ﷺ -: «**يا علي لا بد للعروس من وليمة**» . فقال سعد بن معاذ - رضي الله عنه -: «**عندي كبش**» . وجمع رهط من الأنصار أصواعاً من ذرة وأولم الرسول - ﷺ [2] .

رعاية النبي - ﷺ - لبناته بعد الزواج:

يختلف الناس في النظر إلى علاقة البنت بوالديها بعد الزواج: فمنهم من يرى أنه يجب على الأبوين أن يتركوا البنت وشأنها بعد الزواج لدرجة أن علاقتهم بها شبه مقطوعة فلا تزاور من طرف الأهل ، بزعمهم أن هذا أدعى لسعادتها الزوجية واستمرار العلاقة بينها وبين زوجها وأهله .

وفي المقابل نجد أن هناك من الأسر من يتدخل في حياة ابنتهم بشكل مباشر فيتطلعون إلى معرفة كل صغيرة وكبيرة في حياة ابنتهم ، ولهذا التدخل سلبياته التي تؤدي إلى إفساد الحياة الزوجية ، لدرجة قد تصل إلى الطلاق! فما هو الهدي النبوي في هذا الجانب من حياة البنات؟ .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات .

كان النبي - ﷺ - يزور بناته بعد الزواج ويدخل عليهن الفرح والسرور، فقد زار النبي - ﷺ - فاطمة - رضي الله عنها - بعد زواجها ودعا لها ولزوجها بأن يعيذهما الله وذريتهما من الشيطان الرجيم.

ولم يكن يشغله - ﷺ - عن بناته - رضي الله عنهن - شاغل بل كان يفكر فيهن وهو في أصعب الظروف وأحلكها فعندما أراد النبي - ﷺ - الخروج لبدر لملاقاة قريش وصناديدها كانت رقية - رضي الله عنها - مريضة فأمر النبي - ﷺ - زوجها عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أن يبقى في المدينة؛ ليمرضها وضرب له بسهمه في مغانم بدر وأجره عند الله يوم القيامة.

ويجب على الأب أن يحافظ على بيت ابنته وسعادتها مع زوجها وأن يتدخل إذا لزم الأمر ويحرص على الإصلاح بينها وبين زوجها بشكل يضمن إعادة الصفاء إلى جو الأسرة.

فقد حدث أنه كان بين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وزوجته فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - كلام فدخل عليهما النبي - ﷺ - حتى أصلح ما بينهما.

وأحياناً يقع الطلاق على الزوجة ظلماً وعدواناً، عندها تحزن البنت كثيراً ويحزن أهلها لحزنها، والعزاء في ذلك أن ابنتي الرسول - ﷺ -: رقية وأم كلثوم طلقتا من عتبة وعتيبة ابنا أبي لهب ظلماً بدون سبب إلاَّ أنهما صدقتا ما قاله النبي - ﷺ -: من أنه أوحي إليه وأنه نبي هذه الأمة، الكلام الذي أغضب قريش فقد تزوج عتبة بن أبي لهب من رقية بنت رسول الله - ﷺ - فلما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١] قال أبو لهب: "رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق بنت محمد ففارقها قبل الدخول".

ولم يكتف أبو لهب بذلك بل أمر ابنه عتيبة أن يطلق أم كلثوم بنت النبي - ﷺ - ظناً منه أنه بذلك يستطيع أن يشغل النبي - ﷺ - عن دعوته.

هنا درس للبنات وللآباء بأن يصبروا ويحتسبوا الأجر من الله جلَّ وعلا، وأن ما وقع من الطلاق ظلماً ما هو إلاَّ ابتلاء سوف يعوضهم الله خيراً فقد عوض الله ابنتي الرسول - ﷺ - خيراً من عتبة وعتيبة، عوضهما زوجاً صالحاً كريماً هو عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أحد العشرة المبشرين بالجنة وثالث الخلفاء الراشدين، فقد تزوج عثمان - رضي الله عنه - برقية وبعد وفاتها تزوج بأختها أم

كلثوم قال الله تعالى: ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً ﴾ (١) .

وقد يحدث أن يفقد الأب بعض بناته بموتهن فالموت نهاية كل حي وهو المصير المحتوم الذي لا مفر منه قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾ (٢) .

وليعلم من ابتلى بفقد إحدى بناته أن الرسول - ﷺ - فقد جميع ذريته من الذكور والإناث ولم يبق بعد وفاته إلاَّ فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - وهديه - ﷺ - في وفاة بناته رضي الله عنهن ، أنه كان يحزن لوفاتهن وتذرف عيناه الدمع على فراقهن ، يقول أنس بن مالك - رضي الله عنه - في نبأ وفاة أم كلثوم - رضي الله عنها - "شهدنا بنتاً لرسول الله - ﷺ - قال: ورسول الله - ﷺ - جالسٌ على القبر ، قال فرأيت عينيه تدمعان ، وقال: «**هل منكم رجل لم يقارف الليل؟**» قال أبو طلحة: "أنا" قال: «**فانزِل**» قال: "فنزل في قبرها" (٣) .

والدموع هذه ليست دموع جزع وسخط من قضاء الله وقدره - والعياذ بالله - إنما هي دموع رحمة وشفقة تذرف من عيون الرحماء ، روى أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قال: "أرسلت ابنة النبي - ﷺ - إليه: أن ابناً لي قبض ، فأتنا ، فأرسل يقرئ السلام ويقول: «**إن لله ما أخذ، ولـه ما أعطى، وكلٌ عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب**» فأرسلت إليه تقسم ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ، ومعاذ ابن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورجال فرُفع إلى رسول الله - ﷺ - الصبي ونفسه تتقعقع - قال: حسبته قال: كأنها شن - ففاضت عيناه ، فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**» (٤) .

ومن هديه - ﷺ - في وفاة بناته - رضي الله عنهن - أنه كان يشرف على غسلهن وتكفينهن ، ويصلى عليهن ويدفنهن ، ويقف على قبورهن ويدعو الله لهن . فعن أم عطية - رضي الله عنها - قالت: "دخل علينا رسول الله - ﷺ - ونحن نغسل ابنته فقال: «**اغسلنها ثلاثاً، أو خمساً، أو أكثر من ذلك بماء وسدر**

---

(١) النساء: ١٩ .
(٢) الأنعام: ٦١ .
(٣) رواه البخاري .
(٤) رواه البخاري .

واجعلـــن في الآخـــرة كافـــوراً. فـــإذا فرغتن فآذنني». فلمـا فرغنا آذناه فألقى إلينا حقوة فقال: «أشعرنها إياه»[١].

وفي كيفـية الغـسل قالت أم عطية - رضي الله عنها - قالت: "لما غسلنا بنت النبي - ﷺ -، قال لنا ونحن نغسلها: «ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها»[٢].

وكـان - ﷺ - يقف على قبر من توفي من بناته ويدعو لها فقد كانت رقية - رضي الله عنها - مريضة أثناء غزوة بدر فأمر النبي - ﷺ - زوجها عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بالـبقاء إلى جانـبها لتمريـضها. ولما عاد - ﷺ - من الغزوة وقد ماتت ابنته رقية، خرج إلى بقيع الغرقد ووقف على قبرها يدعو لها بالغفران

فنـسأل الله تعـالى أن يـصلح بناتـنا ويرزقهن العفاف والستر والاقتداء بأمهات المؤمنين وبنات الصادق الأمين ﷺ.

* * * * *

(١) سنن الترمذي٩١١.
(٢) أخرجه البخاري.

obeikandl.com